

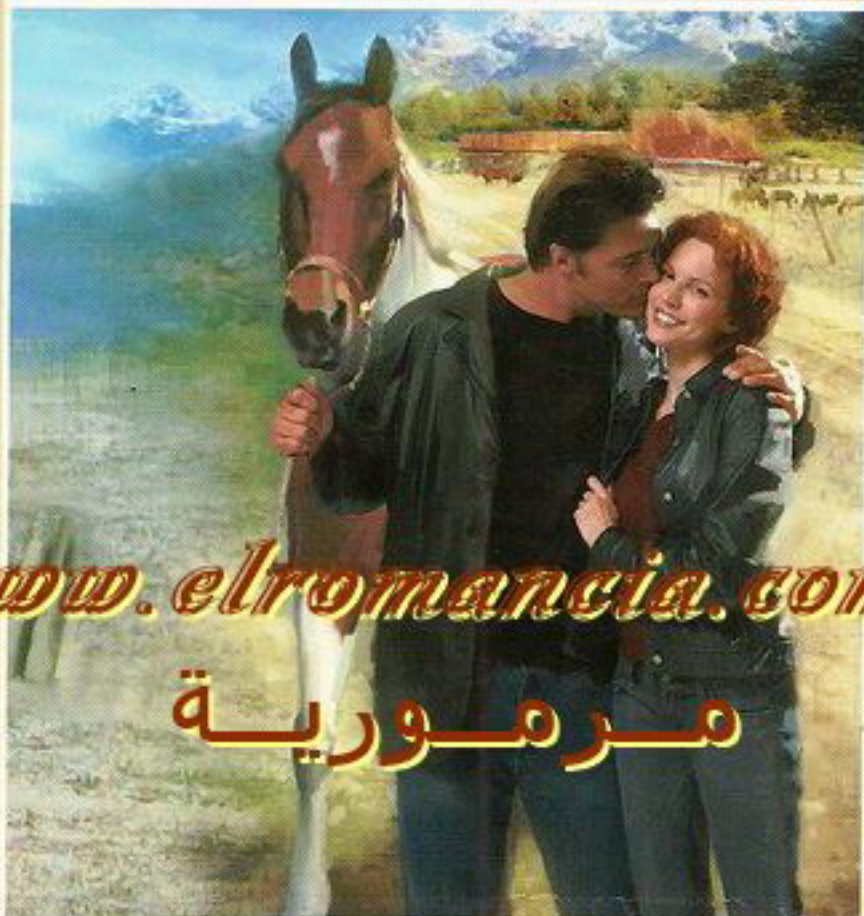


روايات أحلام



ذات مساء عاد الحب

كارول مورتيمر



www.elromancia.com

مروية



ذات مساء عاد الحب

عندما هزت المساء حياة سكاي أوهارا اجتمعت ثانية بفوكنر هارينغتون . الشريك الغامض لوالدها . وبما أنها بحاجة إلى بعض الوقت للتخطيط لمستقبلها . اضطرت سكاي إلى قبول عرض فوكنر الذي أمن لها ملاذاً في بيته . إلا أن ذات الشعر الأحمر شكّت بوجود خطط سرية لدى فوكنر . لا سيما حين عرض عليها الزواج . إنه عرض لا يصدق بالنسبة إلى سكاي . لكنها تتوق لمعرفة الدوافع الخفية لفوكنر وراء عرضه هذا .

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محافظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص مخطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:

His bid for a bride

First published in Great Britain 2004

Harlequin Mills & Boon Limited

© Carole Mortimer 2004

Translation © Dar El-Farasha - 2010

ISBN 978 - 9953 - 15 - 478 - 7

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -

ص.ب: 8254 / 11 هاتف/ فاكس: 453115 - 450950 - 961-1 - بيروت - لبنان

Email: info@darelfarasha.com - http://www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عودناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن
قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على
واحة حب تخفف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن
تكون هديتنا إلى قرائنا هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin
العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع،
وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من
٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدنا من حيث اختيار القصة
الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه
هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع
الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء
الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

«ولدت في انكلترا، وكنت الابنة الصغرى بين ثلاثة أطفال،
فلدي أخوان أكبر مني. بدأت الكتابة سنة ١٩٧٨، وكتبت حتى
اليوم أكثر من ١٠٠ رواية لـ «ميلز أندبون».

لدي أربعة أبناء: ماثيو، جشوا، تيموثي وبيتر، وأملك كلبة
من صنف «كولي» اسمها ميرلين. زوجي أيضاً اسمه بيتر، ونحن
صديقان كما أننا متحابان، وهذا يجعل علاقتنا الزوجية ناجحة
تماماً.

كارول

ببساطة، إنه المنجذاب حثي!

لكن ما تشعر به سكاي الآن ليس بسيطاً على الإطلاق. شعرت
بالحرارة تحتها، وعلمت أن عينيها تتوهجان وخديها يحمران. كل نفس
تأخذه يسبب لها الألم ويجعلها تشعر أنها تبذل مجهوداً حين تتنفس، حتى
إن كنتها الصوفية الضيقة ذات اللون الزهري أزعتها. لكن بالرغم مما
تشعر به، هي ليست متأكدة من حبها للرجل المسؤول عن هذه
الأحاسيس الجديدة المحيرة.

- كونورا لا أنوي بيعك الحصان ستورم كي لا تكسر ابنتك الجميلة
عنقها عندما تحاول أن تمتطيه لتباهي أمام أصدقائها.

قال فوكنر هارينغتون ذلك بقسوة لوالد سكاي. يا له من مغرور
متعجرف! لكنه وسيم مثل الفايكينغ وغير عادي تماماً كما هو اسمه.
شعره الأشقر الطويل قليلاً جعله يبدو أكثر وسامة بدل أن يجعله
مضحكاً، بالرغم من أن الموضة السائدة هي الشعر القصير. بدت ملامحه
حادّة: حاجبان مستقيمان فوق عيني زرقاوين حادتين، أنف صغير
شامخ، فم أنيق يلتوي بسخرية الآن، ذقن مربع يبرز بتصميم... هذه
المواصفات زادت من مظهره القاسي.

اعترفت سكاي لنفسها بأسف أن والدها ببذلتها الرسمية وقميصه
البيضاء وربطة عنقه يبدو كقطة أليفة تواجه قسوة قطة برية.

هزّ والدها رأسه مبتسماً، وقال للرجل الآخر بصوت يقطر محبة:
«فوكنر! وعدت سكاي أن أشتري لها حصاناً عربياً كهدية في عيد ميلادها

أضاف من دون أن يسمح لفوكنر بقول أي تعليق ساخر، لاسيما أن هذا الأخير لم يحاول إخفاء سخريته وعدم اهتمامه بذلك الرعد: «بالإضافة إلى ذلك كلانا نعلم أن طبع ستورم لا يمكن التنبؤ به، وهذا لا يلائم حلبة السباق».

يُعتبر فوكنر هارينغتون الذي يبلغ الثانية والثلاثين من عمره أحد أفضل راكبي الخيل في السباقات العالمية، وظلّ كذلك طوال السنوات العشر الأخيرة. لكن سكاي تعرف الكثير عن هذا الرجل من خلال عناوين ومقالات الصحف. إنه متفوق خارج حلبة السباق تماماً كما هو داخلها. لكنها بالرغم من ذلك لم تعجب بجرأته في التحدث إلى والدها بتلك الطريقة المتعالية في حين أن الشركة التي يملكها والدها هي التي مولت الرجل في السنوات السبع الماضية. كما أنها لم تحب الطريقة التي يفكر بها فوكنر هارينغتون بشأنها. إنه يظنّها طفلة صغيرة ثرية لا تعرف شيئاً عن الخيول، ويظن أنها تريد جواده العربي كوسيلة للتباهي أمام أصدقائها.

- سكاي!

ناداها فوكنر بنبرة ساخرة، فيما بدت نظرتة الجليدية الزرقاء مسلطة عليها بقساوة.

- بما أن اسم عائلتك «أوهارا»، يبدو اسم جيني مناسباً لك أكثر من اسمك.

شعرت سكاي أن تلك السخرية ليست موجهة إلى اسم عائلتها بقدر ما هي موجهة إلى شعرها الأحمر النحاسي الطويل الذي يصل إلى خصرها وقد عقدته على شكل ذيل حصان. اشتعل خذاها احمراراً بسبب وقاحتة المتعمدة.

- اسمي سكاي لأن عينيّ زرقاوين بلون السماء.

تحدثت سكاي للمرة الأولى مدافعة عن نفسها بصوت مرتجف، فيما

زاد الارتعاش من ظهور لكتنتها الإيرلندية الخفيفة. قابلت نظراتها عينان من اللون الأزرق الصافي نفسه لكن مع ملامح جريئة مليئة بالتسلية.
- إنهما كذلك.

أكد فوكنر هارينغتون ذلك باستهزاء وعيناه تتفحصانها بتقييم لا يرحم، وتلاحظان استدارة وجهها الفتي الجميل وجسمها النحيل وكنترتها ذات اللون الزهري وسروالها الجينز الضيق الذي يلتصق بساقها الطويلتين.

- وستبلغين الثامنة عشرة قريباً.

أضاف ذلك بشك كأنه غير قادر على التصديق.

يبلغ طول سكاي خمسة أقدام وست بوصات، وهي تعتبر طويلة بين النساء، أما شعرها فهو خليط من ألوان الأشقر والنحاسي ولون القرفة، وبشرتها بيضاء خالية من الشوائب. ومع أنها تقارب سن النضوج فما زال جسمها هزياً، لكن ما زال أمامها الوقت الكافي لتصبح ذات جاذبية. شعرت سكاي أن تقييم فوكنر لها غير عادل، فما من مبرر لكي ينظر إليها هذا الرجل كأنها طفلة.

حاول والدها إقناعه: «هيا، فوكنر! لنضع سكاي تلقي نظرة على الحصان، فلا ضير في ذلك».

- حسناً!

وافق فوكنر ببطء، وهو ما يزال يرمق سكاي بنظراته التقييمية. إنها نظرات ترعجها. فقط لو أنه يدعها تقترب من الحصان، فسوف تربه براعتها في ركوب الخيل.

أخذت سكاي نفساً عميقاً، وأجبرت نفسها على الابتسام بشكل طبيعي. ذلك ليس أمراً سهلاً وهي تفكر أن هذا الرجل أهانها ووالدها في الدقائق القليلة الماضية.

- أودّ أن أرى ستورم يا سيد هارينغتون، فمنذ أن رآه أبي في الأسبوع الماضي لم يكف عن تعداد مزاياه.

قالت سكاى ذلك فى محاولة لتشجيعه، لكن العينين الزرقاوين اللتين كانتا تتفحصانها انحرفتا نحو أبيها. تمت فوكنر بصوت ناعم لكنه منذر بالخطر: «لم أكن أعلم أنك رأيت ستورم يا كونور».

نظرت سكاى إلى أبيها، وعلمت من نظرة اللوم التي وجهها إليها أنها أفشت سرّاً. هزّ والدها كتفيه بلا مبالاة وأجاب: «صادف أنني كنت فى هذه المنطقة الأسبوع الماضي، وأنت كنت فى سباق، فسمح لي السائس لديك أن ألقى نظرة على الحصان الذي سمعت الكثير عنه منك».

- أحقاً؟

لم تخف حدة نظرات فوكنر، ولم تطرف عيناه. حتى إنه لم يبدُ سعيداً بما قاله الرجل الأكبر سنّاً.

أيقنت سكاى أن السائس لن يفلت من التوبيخ، فقالت بركة: «من المنطقي أن يرى أبى شيئاً يريد شراءه».

نظر إليها فوكنر هارينغتون ببرودة، وقال: «منطقي، نعم. هذا... لو أنني على علم بأنه يريد أن يشتري أحد أحصنتي...».

وأضاف مزجراً: «... لاسيما ستورم».

سألت سكاى بتهور: «لكن لماذا تريد الاحتفاظ به وهو غير صالح للسباق؟».

بما أن والدها هو من يمول هذا الرجل، فهو يعرف كم يكلف إيواء الخيول وتدريبها وإقامة السباقات لاختيار الأحصنة المناسبة للسباق.

نظر فوكنر هارينغتون بغطرسة إليها ملاحظاً جرأتها، وقال بقسوة: «هل تعتقدين أن السبب هو أنه غير قادر على المشاركة فى السباق، أم لأن لدي تحفظات حول بيعه إلى طفلة أخرجت للتو مقوم أسنانها من فمها؟».

أصبح خذا سكاى أحمرين كلون شعرها. كيف عرف هذا الرجل أنها أزالته مقوم أسنانها منذ أشهر قليلة فقط؟

لاحظت بطرف عينيها أن والدها تحرك فى كرسيه بقلق حين لاحظ غضبها، لكنها راحت تغلى فى داخلها وتجاهلت تحذيره، فسألت الرجل:

«إذاً، ألسنت على استعداد لتريني ستورم؟».

هزّ فوكنر هارينغتون كتفيه العريضتين، وقال: «لا مانع لدي مطلقاً بأن تري الحصان».

- إذاً؟

- لكنك لن تشتريه أبداً.

فتحت سكاى فمها، ثم أغلقته بقوة حين انحنى والدها فى كرسيه قليلاً ولمس ذراعها بركة. نظرت إليه وهي تعلم أن خيبة أملها بانته على ملاحظتها من دون شك. هزّ والدها رأسه قليلاً قبل أن يستدير إلى الرجل الآخر ويقول بركة: «كما تعلم يا فوكنر، لدي إسطنبول رائع فى إيرلندا. تعلمت سكاى ركوب الخيل هناك. إنها تركب الخيل ببراعة. فى الواقع، إنها ماهرة جداً».

استقرت النظرات الجليدية الزرقاء عليها برهة قبل أن يهز فوكنر رأسه قائلاً: «اتفقنا على أن طبع ستورم لا يناسب تلك الحياة».

ردّ كونور باقتناع: «سنرضى برؤيته فقط».

- إذا كنت مصراً على ذلك.

وافق فوكنر هارينغتون على ذلك بنفاد صبر بعد أن ألقى نظرة خاطفة على ساعة يده، وهو مدرك أنه يدين بشيء من اللياقة لصاحب الشركة التي تمول سباقاته.

- فى هذا الوقت يعود ستورم إلى الإسطنبول بعد العدو.

وقف على قدميه، فعرفت سكاى لماذا نظر بتعالٍ إلى طولها. لا بد أن طولها يبلغ على الأقل ست أقدام وأربع بوصات، ولا شك أنه يعلو كالبرج فوق كل من يلتقيه.

والدها، وهو رجل احترامته سكاى طوال حياتها ونظرت إليه كمثال أعلى، بدا قصيراً بجانب فوكنر هارينغتون، حتى إن عرض كتفي والدها وقوته لم ينفعاه بشيء. فللرجل الآخر كتفين عريضتين وقويتين تظهران تحت قميص من دون كمين، كما ظهرت عضلات ساقه تحت السروال

المخصص لركوب الخيل .

منذ قليل، حين دخلت سكاي ووالدها بسيارتهما المستأجرة إلى باحة منزل فوكنر وجدا أن المنزل مهملاً قليلاً من الخارج والداخل . والآن، حين شاهدت اسطبل فوكنر وجدته كبيراً جداً وبجالة ممتازة، كما لاحظت أن الحظائر وملاعب التدريب ذات معايير عالية .

فكرت سكاي بحزن، حسناً! ليس مستغرباً أن تكون كذلك، إن شركة والدها «أوهارا للجلود» تكفلت بتمويل معظم التجديدات والأصلاحات هنا .

بالرغم من المشاعر السيئة التي شعرت بها تجاه فوكنر هارينغتون بسبب لامبالاته تجاهها ووالدها، سارت سكاي برفقة الرجلين إلى الخارج . أدركت أثناء ذلك أن الانجذاب الحسي الذي شعرت به نحوه يتزايد إلى درجة تفوق الاحتمال .

إنه رجل وسيم ويتمتع ببنية جسد رشيقة بالرغم من نظراته المتعالية، لكن جاذبيته جعلت كل خلية من خلايا جسدها ترتجف بطريقة لم تألفها من قبل . غير أن تلك الأحاسيس أصبحت من دون أهمية حين دخلوا إلى الإسطبل حيث وقعت سكاي في الحب لأول مرة في حياتها . . .

بدا رائعاً، طويلاً، داكن اللون ووسيماً إلى درجة خطفت أنفاسها . بدا وجهه جميلاً وأرستقراطياً وهو ينظر إليها بتعالٍ؛ إنه ستورم!

أخبرها والدها من قبل أن الحصان مميز، ذو لون أسود صافٍ، ويتمتع بإحساس مرهف وطبع راقٍ عرفت بهما الجياد العربية الأصيلة، إلا أنه لم يخبرها أن جماله يسحر الأبواب إلى هذا الحد .
- شكراً يا جيم .

تناول فوكنر هارينغتون اللجام من السائس الذي عاد لتوه من جولة تمرين للحصان الرائع، ثم ربت على رقبة الحصان وهو يتحدث بنعومة في إحدى أذنيه الحساستين .

- ماذا قلت لك يا سكاي؟

سألها والدها بحماسة، ثم أكمل قائلاً: «أليس أروع . . .» .

- آسفة لمقاطعتكم .

عبرت الباحة امرأة شابة، وقالت بنعومة: «هناك اتصال هاتفي لك يا سيد أوهارا من المنزل» .

- آه!

هز الرجل رأسه بقبول، وأضاف: «هل يمكنك أن أترك سكاي معك لبضع دقائق يا فوكنر؟ يجب حقاً أن أرد على هذا الاتصال» .

- هيا! اذهب .

أشار الشاب برأسه، وأضاف بسخرية: «ستكون سكاي آمنة تماماً معي» .

نظرت سكاي إليه شزراً قبل أن تستدير إلى والدها مبتسمة له بشكل مطمئن، فهي تعلم أنه ينتظر هذه المكالمة من أخيه الأكبر في إيرلندا .

بالكاد انتظر فوكنر هارينغتون ابتعاد أبيها قليلاً خلف المرأة الأخرى، فاستدار بقوة نحو سكاي، ما أجفل الحصان .

- هل رأيت ما عينته؟

قال فوكنر ذلك، ثم أضاف بتعالٍ: «ستورم غير مناسب لهاوية خفيفة الوزن» .

- هاوية؟!!

لم يكن والدها يبالي حين قال إنها ركبت الخيل قبل أن تتمكن من المشي . ماتت والدة سكاي قبل أن تبلغ الطفلة السنة من عمرها، وبعد انقضاء المأتم في إنكلترا باع والدها كل أملاكه هناك وعاد إلى موطنه إيرلندا ليتسلم أعمال العائلة من والده العجوز سيموس آخذاً معه طفله سكاي .

عوضاً عن استخدام مربية للعناية بابتنته، وهو أمر قد يفعله أي إنسان في الظروف ذاتها، قام والد سكاي باصطحابها معه حتى حين كان يعمل في مكتبه، أو في الاسطبلات التي كانت حقاً أول حب في حياته .

اعتادت سكاى أن تزحف بين قوائم الخيل . وفي الواقع ، وضعها والدها فوق صهوات الخيول قبل أن تتمكن من الوقوف على قدميها . حين بلغت العامين من عمرها راحت تمسك حبل اللجام ونجر الخيول ، وعندما بلغت الثامنة أصبحت تتركب الخيول وتخرج مع السائس في التمرينات اليومية للأحصنة .

كيف يجرؤ هذا الرجل على القول إنها هاوية؟

بعد ذلك ، لم تعرف سكاى ما الذي أصابها ، ولم تستطع أن تشرح سبب تصرفها التالي حتى لنفسها .

اختطف جمل اللجام من يد فوكنر هارينغتون الذي لم يتوقع ذلك على الإطلاق ، ووضعت رجلها في الركاب ، ثم تأرجحت في الهواء ، وجلست فوق السرج قبل أن تعدو بالحصان خارج الاسطبل نحو التلال التي رأتها خلف المنزل .

بدا لها ذلك الأمر مبهجاً ، واستجاب ستورم لأقل لمسة منها وهو يقوم بأكثر الأمور التي يجيها : العدو كالريح وعرفه الأسود يتماوج بحرية ، وجسده يتمدد بينما تضرب حوافره الأرض المعشوشبة بسهولة . بدا كأنه يطير عندما قفز فوق السياج يسر ومن دون جهد .

بالنسبة لسكاى ، بدت قيادة ستورم التجربة الأكثر إثارة في حياتها ، وعلمت أنها ضاعت في غياهب متعتها .

فجأة أدركت أنها لم تعد بمفردها حين قبضت يد قوية على حبل اللجام وشدته بعنف إلى الخلف ، بحيث كادت سكاى تقع فوق رأس ستورم الذي توقف فجأة .

- هل أنت مجنونة؟

استدارت سكاى بحدة وغضب نحو فوكنر هارينغتون الذي كان يمتطي حصان السباق الخاص بأوهارا .

اهتمته سكاى بغضب : «أوشكت أن توقعني عن الحصان!» .

راح فوكنر يتنفس بقوة وقد بدا وجهه أبيض اللون لشدة الغضب .

نزل عن حصانه برشاقة وقبض بعنف على ذراع سكاى ، ثم أنزلها عن ظهر ستورم .

- أيتها الحمقاء الصغيرة!

هزها بعنف ، ونظر إليها بغضب جارف : «أنت تجازفين بحياتك!» .

ابتسمت سكاى بثقة ، وأجابت : «لا . أنا . . .» .

قاطعها فوكنر بقسوة : «بلى ، وبجياة ستورم أيضاً!» .

على الأرجح أن هذا هو محور اهتمامه : الحصان ! لكن قبل أن تضيف سكاى شيئاً باغتها فوكنر بعناق ليس فيه شيء من النعومة أو الرقة ، إنه عناق يترجم الغضب الجارف الذي كان يعتل في داخله .

فكرت سكاى أن التجارب التي خاضتها في مرحلة المراهقة مع الشبان الذين واعدتهم لم تحضرها لمثل هذا العناق الوحشي . التفت ذراعاً فوكنر حولها كالقولاذ وهما تثبتان جسدها بقربه وتمنعانها من التنفس . وحين ظنت سكاى أنها لم تعد تستطيع التحمل وأنها على وشك الاختناق ، أبعدها فوكنر عنه بخشونة ناظراً إليها بعينين أصبح لونهما أزرق باهتاً وربما فضياً . راح يتنفس بصعوبة وغضب ، فيما بدت كل عضلة وكل عصب في جسمه مشدودين بسبب التوتر . قال لها ببرودة : «تبدلت ظنوني وآرائي السابقة تجاهك . أنت متهورة ، وعدمية المسؤولية تماماً ، وفوق ذلك كله أنت غبية» .

رمقها بنظرة ملؤها الاشمزاز قبل أن يقفز على ظهر ستورم ، ثم يمسك بلجام الحصان الآخر بيده ويبتعد عنها ، تاركاً إياها وسط تلال بيركشاير متسلحة بقدميها فقط لتعيدها إلى الاسطبل .

أدركت سكاى أنها ما إن تصل هناك لن تواجه غضب فوكنر هارينغتون فقط بل غضب والدها أيضاً . أما الأسوأ من ذلك فهو أنها أدركت بدون أي شك أن فوكنر لن يسمح لأبيها بأن يشتري لها ستورم أبداً .

١ - تعالي معي!

- إلى متى ستبقين نائمة في السرير في هذا المستشفى وأنت تشعرين بالأسى على نفسك؟

تصلبت سكاى لدى سماعها هذا الصوت المتعجرف. أغمضت عينيها بسرعة على الرجل يختفي. مضت ست سنوات منذ أن رأت فوكنر هارينغتون أو سمعت صوته، لكنها عرفت صوته المتشدق الواثق على الفور.

- قلت لك ...

- سمعتك!

استدارت سكاى لتواجهه محمقة. تراجعت قليلاً حين لاحظت أنه انتقل من مدخل الباب ليقف قرب سريرها. رفعت رأسها لتتنظر إليه، فبدأ طويلاً جداً وواثقاً من نفسه وهو يرتدي سروال الجينز وقميصاً قطنية سوداء.

ها قد عاد الانجذاب الحثي بينهما بالرغم من كل ما مرت به سكاى وما تزال تمر به. أدركت بمجرد النظر إلى فوكنر أن أحاسيسها وإدراكها لوجوده لم تتغير أبداً، أما هو فقد تغير كثيراً. لاحظت أن شعره الذي كان طويلاً وأشقر أصبح قصيراً مع خصل رمادية واضحة، وما زال وجهه وسيماً وأرستقراطياً، أما عيناه الزرقاوان الجليديتان فما زالتا تقيمانها وتفحصان هيتها، لكن خطوطاً صغيرة ظهرت الآن حول عينيها وفمه المنحوت هي عبارة عن تجاعيد تحدت بالألم والتصميم. لم تكن هذه الخطوط موجودة قبل ست سنوات.

لو أنه رآها منذ أسبوع فقط لرأى فتاة مختلفة بشعرها القصير ووجهها الذي اختفت استدارته ليصبح هزياً ذا خدين مجوفين تحت عيني زرقاوين، أما ذقنها فأصبح مستدقاً بتصميم، كما اختفت التضاريس الجميلة من جسدها. أصبحت سكاى هزيلة أكثر مما كانت عليه وهي في الثامنة عشرة من عمرها، لكن ساعات العمل الطويلة أعطت جسدها لياقة كاملة.

نعم، لو أنه رآها منذ أسبوع فقط لعرفت سكاى ما الذي سيراه فوكنر عندما ينظر إليها، لكنها لم تنظر في المرأة ولم تمشط شعرها أو تضع مساحيق التجميل منذ أسبوع، وفوق ذلك كله، إنها ترتدي الآن الثياب المخصصة للمرضى في المستشفيات.

- حسناً!

حشها فوكنر بنفاد صبر حين لاحظ صمتها. أطلقت سكاى تنهيدة متعبة ومنعت نفسها من إجابته. لم لا يدعها وشأنها؟ لم لا يدعها الجميع وشأنها؟

سألته بفضافة: «ماذا تفعل هنا؟».

التوى فمه حين أجابها: «جئت أزورك».

وليثبت كلامه أرجح الكرسي الموجود قرب سريرها إلى الوراء وجلس عليه، فلاحظت سكاى أن رجله اليمنى تبدو متصلبة.

تذكرت أنها قرأت منذ ثلاث سنوات في الصحف خبر إصابة فوكنر بجروح خطيرة عندما وقع جواد السباق الذي كان يمتطيه خلال إحدى القفزات ساحقاً فوكنر تحته. سببت له تلك الحادثة كسوراً في ساقه، وتضررت أحدهما إلى حد كبير ما اضطره إلى البقاء في المستشفى قرابة الستة أشهر. بدأ واضحاً أنه يشعر بالألم عندما يحرك ساقه اليمنى، بالرغم من أنها شفيت، إلا أنها لم تعد بحالة جيدة كالساق الأخرى.

عيست سكاى لتصرفه باللفة، وقالت له بوقاحة: «لا أذكر أنني طلبت منك أن تجلس. في الواقع، لا أذكر أنني دعوتك للمجيء إلى هنا أصلاً».

لم يتأثر فوكنر بقلّة تهذيبها، بل رفع حاجبيه البينيتين فوق عينيه الزرقاوين الساخرتين ورد باستهزاء: «لديك زحمة زوار. أليس كذلك؟».

شعرت سكاى أن خديها يتلونان غضباً الآن. اللعنة عليه! كيف يجرؤ على الجيء إلى هنا والسخرية منها؟

شعر فوكنر بالسخط من نفسه، وأطلق تهيدة ملؤها الأسف قائلاً: «أنا آسف يا سكاى».

طرفت سكاى بعينها لتمنع دموعاً باغتتها وهي تشعر بالغضب من نفسها لإظهار مشاعرها الضعيفة. اعترفت له قائلة: «منذ أيام قليلة، أذى صحافى أنه اخي ودخل إلى هنا. حتى إنه التقط لي صورة قبل أن يدركوا خطأهم ويرموه خارجاً».

- سكاى، أعلم كل شيء عن ذلك. ظهرت الصورة في الصحف منذ أيام قليلة.

هزت سكاى كتفيها بلا مبالاة. هي لم ترَ الصورة ولم تقرأ صحيفة منذ أيام، لكنها تدرك أن الصورة ليست مصدر فخر لها.

- منذ ذلك الحين أنا أرفض استقبال الزوار، وهذا يجعلني أتساءل كيف تمكنت من الدخول إلى هنا؟

عبست سكاى ورمقت بنظرة ملؤها الشك.

كشر فوكنر، وقال: «باستعمال جاذبيتي الطبيعية ودبلوماسيتي».

شخرت سكاى غير مصدقة. لم تكن تعلم أنه يملك جاذبية طبيعية أو دبلوماسية.

ذكرها فوكنر برقة: «سألتك سؤالاً عندما وصلت يا سكاى. بما أنك شفيت من الارتجاج وأضلاعك المكسورة تجبر بشكل جيد. ألم يجن الوقت لخروجك من هنا؟».

نظرت إليه باستياء، وقالت: «لم أعلم من قبل أن الطب هو أحد إنجازاتك».

تعلم سكاى أن فوكنر تحول إلى العمل في مجال البورصة منذ الحادثة

التي أخرجته من مجال سباق الخيل، ولطالما قبل عنه إن كل ما يللمسه يتحول إلى ذهب.

- قد تدهشك بعض إنجازاتي.

رد عليها فوكنر بإيجاز قبل أن يجبر نفسه على الاسترخاء. بعدئذ وافقها قائلاً بنبرة جافة: «لكن بالطبع شهادة الطب ليست إحداها».

الحقيقة هي أنني تحدثت مطولاً مع طبيبك قبل أن أدخل إلى هنا».

- ليس لديك الحق...

قاطعها فوكنر بجدّة: «لدي كل الحق يا سكاى».

انحنى في كرسيه إلى الأمام قليلاً، وأضاف: «سكاى! ربما أكون آخر شخص توقعت رؤيته اليوم أو أردت رؤيته، لكن حقيقة الأمر هي...».

توقف عن الكلام، ومرر يداً مرتعشة في شعره الأشقر الكثيف.

حنّته سكاى على المتابعة وقد ساورتها الشكوك فجأة حول الدوافع الكامنة وراء وجوده هنا: «حقيقة الأمر هي...؟».

هي لم ترَ هذا الرجل منذ ذلك اليوم قبل ست سنوات، لكنها علمت أن والدها استمر في العمل معه حتى حصول الحادثة قبل ثلاث سنوات، وأن احترام والدها ومحبته لفوكنر تعمقا أكثر عندما كان هذا الأخير يناضل للشفاء من إصابته ومتابعة حياته والنجاح في ميدان عمل آخر.

والدها...!

شعرت بألم حاد في قلبها أشبه بطعنة السكين ما إن فكرت به.

أغمضت عينها من جديد لكنها لم تستطع منع الذكريات التي قادتها إلى هذه المرحلة من حياتها. إنها مستلقية هنا منذ أسبوع وهي تحاول ربط الأمور ببعضها.

متى بدأت الأمور تسوء؟ لا مجال للشك أبداً في أن هذا العام هو الأسوأ لجميع أفراد عائلة أوهارا. زوجة العم سيموس تركت البيت بعد

خمس سنوات من الزواج. أما العم سيموس نفسه فبدأ مولعاً على الدوام بزيادة أرباح شركة العائلة، وهذا الأمر أدى به إلى الشجار مع أفراد

عائلته لاسيما مع أخيه الأصغر كونور، لكن تدخل سكاى ساهم في تهدئة الأمور وحل تلك المشكلة. أخيراً اعتذر العم سيموس من أخيه مظهراً ندمه وخجله من تصرفاته السابقة وعاد الأخوان إلى سابق عهدهما ثانية، ما جعل سكاى تشعر بالارتياح. لكن أمراً آخر دفع بهم إلى كارثة أكبر. فمنذ ستة أشهر واجهت شركة أوهارا صعوبات مادية، وانتشرت الشائعات بسرعة حول مسؤولية والدها عن تلك الصعوبات الناتجة عن تصرف خاطئ من قبله، ثم جاءت الضربة القاضية في تلك الليلة المشؤومة منذ أسبوع.

كان الوقت متأخراً تلك الليلة حين عادت سكاى مع والدها إلى فندقهما في لندن بعد اجتماع عمل فاشل في جنوب إنكلترا. كانت الليلة عاصفة والمطر يضرب الزجاج الأمامي للسيارة بعنف جاعلاً الرؤية سيئة للغاية، حتى إن والدها لم ير الشاحنة القادمة في الجهة المقابلة، ولم يلاحظ أنها تسير على الجهة الخاطئة من الطريق أيضاً إلى أن فات الأوان لذلك.

أصبح وجهها الآن أبيض بلون الوسادة وراءها، وعكست عينها تلك اللحظات الأخيرة المرعبة، فنظرت إلى فوكر وتوسلت إليه بصوت متكسر: «أرجوك... اذهب... ودعني وشأني».

مد فوكر يده ليمسك يدها، لكنها تهربت منه ووضعتها على السرير. - سكاى! أعرف أنك تتألين. لا أحد يعرف ذلك أكثر مني. لكن، أنا... اللعنة... ليت هناك طريقة سهلة لقول ذلك، لكنني أعلم استحالة الأمر.

هز رأسه بنفاد صبر، ثم أضاف: «هل تعلمين أنهم أجروا تحقيقاً منذ ثلاثة أيام؟».

هزت سكاى رأسها من دون أن تستدير. أخذت الشرطة إفادتها منذ أيام، هي لا تذكر عددها في الواقع لأن الأيام الأخيرة بدت لها ملفوفة في غشاوة مؤلمة، لكنها علمت أن الحكم الذي صدر هو «القضاء والقدر».

تابع فوكر قائلاً برفقة: «سكاى، حدد ماتم والدك في نهاية هذا

الأسبوع».

لا عادت إليها ذكريات اللحظات الأخيرة المؤلمة: صوت أبيها التحذيري وهو ينعطف ليتجنب الشاحنة القادمة نحوها وصوت التصادم الخفيف ثم الصمت المطبق الذي تلا ذلك.

استمعات سكاى وعيها حين سحبها غريب ما من السيارة. شعرت بالآلام مبرحة في رأسها وجنبها حتى ظنت أنها ستفقد وعيها مجدداً. لكنها صرخت وهي تجلس: «أبي، عليك أن تنقذ أبي».

لكن حتى وهي تقول ذلك علمت أن الأوان فات لإنقاذ أبيها، إذ إن الجهة الأخرى من السيارة حيث يجلس السائق انسحقت تماماً حين انعطف ليتجنب الاصطدام. أدركت في قرارة نفسها أن من المستحيل أن ينجو من هذه الحادثة الرهيبة.

وهو لم ينبج بالتأكيد...

في المستشفى تجمع الكثيرون ليؤكدوا لها أن موت والدها جاء سريعاً وأنه لم يعان من الألم قبيل وفاته. وأخيراً، عندما لاحظوا أن لا شيء مما يقولونه يستطيع التخفيف من حزنها أخبروها أن جراحه كانت كثيرة ولربما من الأفضل له أنه لم ينبج.

من الأفضل له أنه...؟! كيف يكون موت والدها أمراً جيداً؟ بحق السماء! لقد فقدت والدها الذي أحبه أكثر من أي شيء آخر في العالم، في حادثة مفاجئة ومأساوية!

والآن، ها هو فوكر هارينغتون، وهو غريب آخر، جاء ليخبرها أن دفن والدها سيتم بعد أربعة أيام...

لم تنظر سكاى إلى فوكر بل قالت: «اذهب من هنا».

- لا أستطيع.

ردّ عليها بنبرة ملؤها الأسى، ثم تابع: «ويوماً ما ستشكريني لأنني لم أذهب».

- أشك في ذلك كثيراً.

- سكاى! بناء على وصيته، سيدفن والدك بجانب والدتك بعد أربعة أيام، وأنا هنا لأصطحبك إلى البيت.

- لن أذهب إلى أي مأتم بعد أربعة أيام أو في أي وقت آخر. استدارت لتواجهه بشراسة وعيناها تشعان بوهج أزرق، لكنها حين حاولت الجلوس عاودها الألم في رأسها وجنبها فعادت لتنام على ظهرها ثانية.

كررت رفضها بوهن وهي تدير له ظهرها: «لن أذهب يا فوكنر». - آه! بلى ستهيين.

أجابها بحزم وهو يقف ليشرف كالبرج فوقها، ثم تابع يقول: «أنت تعلمين مثلي تماماً أن والدك أراد دائماً أن يتم دفنه قرب والدتك في وينسور».

أطلق فوكنر أنيناً خافتاً حين رأى أن حزنها تضاعف عندما ذكرها بفقدانها لأبها أثناء طفولتها.

- اعترف أنني قد لا أشعر بفداحة المصاب مثلك في هذه اللحظة لأن والديّ -والحمد لله- ما زال على قيد الحياة وهما يعيشان في فلوريدا، لكنني بدوري فقدت صديقاً عزيزاً... صديقاً ساشاق إليه كثيراً.

ثم أضاف برقة: «وأعرف أن هذا الصديق يريدني أن أهتم بآبته». استدارت سكاى إليه، وقالت بحزن: «لو أنك حقاً صديقه، أين كنت في الأشهر الستة الأخيرة حين بدا واضحاً أن أبي بحاجة إلى كل أصدقائه؟».

وقف فوكنر باستقامة، وأجابها: «كنت بجانبه يا سكاى».

ردت عليه باحتقار: «لم أرك أبداً».

قال فوكنر بهدوء: «لكنني رأيتك».

اتسعت عيناها بعدم تصديق: «متى؟ أين؟».

هز رأسه بعدم اهتمام: «لا يهم. المهم الآن هو أن أخرجك من هنا بأقل ضجة ممكنة. ما زال الصحفيون يحومون أمام المستشفى، لذا

أقترح...».

- فوكنر! أعتقد أنني أوضحت لك رأيي حول هذا الموضوع، لكن في حال لم أكن...».

أكد لها فوكنر بينبرة جافة: «واضحة تماماً! لكن ذلك لا يغير واقع أنك أصبحت على وشك الخروج من المستشفى، وأن حالتك تحسنت حسب رأي الاخصائيين. سكاى! يحتاجون إلى السرير من أجل مريض آخر أما أنت فلا تحتاجينه».

أضاف بنفاد صبر حين لاحظ أنها ستناقشه: «لذا، هيا! لنلبسك بعض الثياب».

- ليس لدي ملابس. الثياب التي...».

وابتلعت ريقها بصعوبة وأضافت: «... التي كنت ارتديها أصبحت في حالة يرثى لها بعد أن اضطرروا إلى قصها، لذا طلبت منهم أن يحرقوها».

- هذا لا يهم. جلبت معي أغراضك التي تركتها في الفندق.

استدار فوكنر، وحمل حقيبة من قرب الباب لم تلاحظها سكاى من قبل، ثم وضعها على حافة السرير ليفتحها.

شهقت سكاى حين رأت ثيابها مطوية بترتيب داخل الحقيبة، وخمنت بسهولة من أخرجها من الأدراج والخزانة في الفندق قبل أن يطويها بترتيب ويضعها هناك.

هزت رأسها بحيرة قائلة: «فوكنر، ألا تعتقد أنك أخذت على عاتقك مسؤولية كبيرة بتدخلك هذا؟ أظن أنك تكفلت بتنظيم مراسم الدفن أيضاً؟».

رفع فوكنر رأسه بتحدٍ، وقال: «من غيري سيقوم بذلك؟ أنت؟ لا أعتقد ذلك. أم ربما عمك سيموس؟».

ثم هز رأسه بحزن، وتابع: «سكاى! الأسبوع الماضي، بعد أن علم عمك سيموس بالحادثة أصيب بصدمة شديدة وأسرف في الشراب. في

صباح اليوم التالي وجدته مديرة منزل والدك جالساً عند أسفل درج المنزل وهو لا يعرف ما يدور حوله. على الأرجح أنه بقي جالساً هناك طوال الليل لأنه كسر رجله عندما وقع على الدرج».

حدقت به سكاى للمحظاظ طويلاً. انتظرت عمها سيموس طوال الأسبوع كي يأتي لزيارتها، وبالرغم من أن جزءاً منها شعر بالارتياح لأنه لم يحضر، لأن التعامل مع حزنه وحزنها معاً أمر صعب بالتأكيد، إلا أن سماع شرح فوكنر عن سبب عدم مجيء عمها إلى إنكلترا بعد الحادث ضاعف من شعورها بالضيق.

عندما رأى فوكنر تعابير وجهها الحائر تنهد قبل أن يستدير ويولي اهتمامه لمحتويات حقيبتها، ثم قال: «سوف يسمحون له بالخروج من المستشفى في نهاية الأسبوع».

أدركت سكاى أن عمها لن يحضر مأمم والدها في إنكلترا.

- هات! دعني أقوم بذلك.

تجاهلت محاولات فوكنر لاختيار بعض الملابس من حقيبتها. ربما قام بدافع الضرورة بجمع هذه الملابس في الفندق، لكنها شعرت كأن شيئاً خاطئاً يحدث وهي تراه يقلب ملابسها الداخلية الحريرية. حاولت يجهد أن تجلس على حافة الفراش إلا أنها لم تستطع أن تنظر إلى فوكنر بسبب موجة من الحياء داهمتها فجأة.

- ربما من الأفضل أن تنتظر في الخارج.

إنها في الرابعة والعشرين من عمرها، وقد أمضت طفولتها كلها - بل معظم حياتها - محاطة بالرجال. هناك والدها، جدّها، عمها سيموس، ساسة الخيل في الاسطبل ومعظم العمال في شركة أوهارا وكلهم رجال أيضاً. لكن مرافقتها لوالدها منذ صغرها جعلت الجميع يعاملونها كأنها صبي، ولم يجعلها أي منهم تشعر بأنوثتها كما فعل فوكنر قبل ست سنوات وما زال يفعل...

ظهر شبح ابتسامة على شفتي فوكنر، وقال: «هل يمكنك أن تتدبري

أمورك بمفردك؟».

لا شك أن الأمر سيستغرق بعض الوقت. علمت سكاى أن شكلها يبدو مزرياً. إنها بحاجة إلى الاستحمام وغسل شعرها في الحمام التابع لغرفتها قبل أن ترتدي ثياباً نظيفة، وهذه الأمور لا تبدو لها سهلة، لاسيما أنها ما زالت تشعر أن رأسها منفصل عن كتفيها، فأضلاعها المكسورة تجعل التحرك مؤلماً. على أي حال يمكنها إنجاز هذه الأعمال ببطء، فذلك خير من أن يساعدها فوكنر على ارتداء ملابسها.

اتهمها فوكنر أنها أمضت الأسبوع الماضي بأكملها مستلقية في الفراش وهي تشعر بالأسى على نفسها، لكنه مخطئ. فقد أمضت الكثير من الوقت وهي تتجول في غرفتها وفي الحمام المجاور في الأيام الأخيرة.

ما تخاف منه سكاى هو المجهول الذي ينتظرها خارج هذه الغرفة. بطريقة ما، بقاؤها داخل المستشفى من دون مسؤوليات ما عدا تناول الدواء في الوقت المناسب أصبح واقعاً أحبب أن تعيشه. تناست ما جرى الأسبوع الماضي، أما ما حدث قبل ستة سنوات فأصبح كالحلم المنسي بالنسبة إليها. لكنها علمت أنها ستواجه كوابيسها ما إن تخرج من هذه الغرفة.

- يمكنني أن أتدبر أموري بنفسى. شكراً لك.

ردت سكاى عليه باقتضاب، فhez رأسه متفهماً موقفها وقال: «خذي وقتك. سأشتري قدهاً من القهوة وأحتسيه في صالة الانتظار».

استدار فوكنر ليخرج من الغرفة، فبدأ العرج واضحاً في رجله اليمنى. تذكرت سكاى كيف كان يمشي برشاقة منذ ست سنوات وكيف بدت خطواته سلسلة وهادفة في ذلك الحين. تساءلت إن كانت ساقه ما تزال تؤلمه، لكنها لم تجرؤ على سؤاله إذ علمت من خلال لقائهما القصير منذ ست سنوات أنه لن يرحب بفضولها أو شفقتها.

نادته بصوت مرتجف حائر: «فوكنر!».

استدار لينظر إليها ويده على مقبض الباب. ردّ بقلق: «نعم؟».

رطبت سكاى شفتيها الجافتين قبل أن تقول: «ذكرت سابقاً أنك... أنك ستأخذني إلى البيت».

- نعم.

هز رأسه وأردف باقتضاب: «إلى بيتي يا سكاى. سأخذك إلى بيتي».

كرر ذلك بتصميم ونظرة تتحداها، كأنه يتوقع منها أن تجادله.

سأخذها إلى ذلك المنزل المتداعي الذي بني وسط مساحات شاسعة من الأراضي في الريف الجميل، لكن إسطبله فارغ الآن من أجل الأحصنة التي رأتها سكاى في حياتها. هزت رأسها ببطء موافقة على عرضه: «جيد، هذا جيد جداً».

نظر إليها فوكر للحظات طويلة كأنه يبحث في وجهها عن شيء ما، ثم هز رأسه وقال لها برقة: «سأنتظرك في الرواق إلى أن تجهزي نفسك للرحيل. لا تقلقي بشأن الصحافيين المنتظرين في الخارج، فقد رتبتم الأمور بشكل يسمح لنا بالخروج من مدخل الموظفين».

- شكراً لك.

جاءت ابتسامتها مرتعشة على الرغم من أنها تقبلت واقع أن فوكر قادر على تدبير معظم الأمور كما يرغب ويشتهي. لم تتخيل شيئاً مرعباً أكثر من تكرار حادثة الصحافي الذي احتال في الدخول إلى غرفتها، وفيما أومضت أنوار آلة التصوير التي يحملها في وجهها أمطرها بوابل من الأسئلة التي ما تزال تذكرها برعب.

- أنت على الرحب والسعة.

طمأنها فوكر برقة قبل أن يغادر الغرفة ويغلق الباب وراءه بهدوء.

لم تتحرك سكاى من مكانها، بل بقيت ساكنة للحظات قليلة وقد فاجأتها لطافة هذا الرجل الذي برهن لها منذ ست سنوات أن لا مكان للمشاعر في حياته.

إنه الرجل الذي أغرمت به طيلة هذه السنوات الست.

٢ - علامة استفهام

سألته سكاى بريية: «فوكر، لماذا تفعل ذلك بالضبط؟».

حين دخلت الحمام في وقت سابق وألقت نظرة على صورتها في المرآة أطلقت تنهيدة استهجان لمظهرها: إنه أسوأ مما توقعت!

بدا شعرها أشبه بكتل متشابكة شعناء، فيما ظهرت بقعة زرقاء كبيرة على الجانب الأيسر من وجهها بسبب ارتطامها بباب السيارة أثناء الحادثة، هذا الارتطام سبب لها ارتجاجاً في الدماغ عانت منه خلال الأيام الماضية. تحولت البقع السوداء حول عينيها إلى ألوان قوس قزح فيما سيطر اللون الأصفر على بقية الألوان، أما وجهها فبدا شاحباً كوجوه الأموات. فقدت سكاى الكثير من وزنها. بدا ذلك واضحاً حين ارتدت سروال جينز وبلوزة سوداء فتبين أن مقاسهما أكبر من مقاس جسمها الذي ازداد نحوله خلال الأسبوع الماضي.

فكرت سكاى أنها متأكدة من أمر واحد على الأقل: فوكر لا يعاملها بلطف بسبب انبهاره بجمالها!

ألقي فوكر عليها نظرة سريعة حين جلست قربه في سيارته الرانج رووفر الخضراء. تصرفت سكاى بلباقة، فأهتت نفسها قليلاً واستدارت ريشماً رفع فوكر نفسه بطريقته الخاصة وجلس وراء المقود.

- هل كنت تفضلين أن أتركك لتواجهي الصحافيين وحدك؟

بالرغم من التدابير الاحتياطية التي اتخذها فوكر أثناء خروجها من باب الموظفين، اضطر إلى مواجهة بضعة صحافيين لجوجين. أمسك ذراع سكاى بإحكام فيما ناضل دافعاً إياهم من أمامها إلى أن رآها جالسة

بأمان في سيارته، ثم دار حول السيارة وجلس بجانبها بضم مشدود من دون أن يجيب عن الأسئلة الموجهة إليهما.
- لا! لكن لماذا؟ لست...

تنهدت سكاى وقد أرهاقها التعب الناتج عن أحداث الصباح وعن الألم الذي تشعر به في ضلوعها التي لم تعتد على الحركة بعد.
قاطعها فوكنز بحدة: «قلت لك إن كونور كان صديقي، وأعلم أنه أرادني أن أهتم بك».

قبل أن تنطلق الشائعات والشكوك منذ ستة أشهر كان لوالدها أصدقاء كثير، لكن معظمهم انسحبوا من حوله بهدوء كما لو أنهم صدقوا الأقاويل والتكهنات التي أحاطت بأعمال كونور وسمعتة. غير أن فوكنز لم يبدُ متأثراً بذلك على الإطلاق.

علمت سكاى بأمر صداقة والدها المستمرة مع فوكنز، فلطالما أخبرها والدها أنه رآه أو تحدث إليه، ولطالما أصغت سكاى بشغف إلى تلك الأخبار محاولة قدر الإمكان أن تبدو لامبالية كي لا يلاحظ أحد - لاسيما والدها - مقدار العذاب الذي تعانيه بسبب حبها اليانس لفوكنز طوال تلك السنوات الست.

لكن بالرغم مما أخبرها إياه والدها عن الرجل الآخر، لم تتصور سكاى يوماً أن صداقتها متينة إلى درجة تجعل فوكنز يشعر الآن بالمسؤولية تجاه ابنة كونور. فهل هناك أسباب أخرى لوجوده هنا؟
- سكاى! بعد الحادثة التي أصابني منذ ثلاث سنوات وقف كونور بجانبى وساندني.

أضاف فوكنز بتردد: «ولم يتركني منذ سنتين».

منذ سنتين؟ ماذا حدث منذ سنتين؟ آه!

قرأت سكاى في الصحف خبر زواج فوكنز منذ خمس سنوات. تبع ذلك أخبار تتعلق بانفصاله عن زوجته بعد الحادثة ثم طلاقهما الذي أثار ضجة كبرى بعد سنة.

- أمضى كونور الكثير من وقته الثمين معي منذ سنتين. تحدث إلي وساعدني لأتخطى... صعوبات كثيرة.

آه! يبدو أن هذه هي طريقة فوكنز لرد الجميل للرجل الأكبر سناً.
حسناً! على الأقل هو يبدو صادقاً. اقتنعت سكاى بذلك، لكنها اعترفت لنفسها أنها تفضل لو كان سبب اهتمامه بها يتعلق بها شخصياً... ولو قليلاً.

تنهدت سكاى، وأدارت رأسها لتتأمل خارج السيارة دون إبداء اهتمام بالمناظر الطبيعية للمناطق الريفية التي يمران بها. تعرفت إلى بعض تلك المناطق، وأدرت أنها على وشك الوصول إلى منزل فوكنز.
هناك أمر واحد إيجابي في هذه المسألة وهو أن زوجته لن تكون هناك لاستقبالها.

منذ خمس سنوات تساءلت سكاى عن شكل زوجة فوكنز، فالصورة التي ظهرت في الصحيفة عند زواجهما لم تكن واضحة بل مليئة بالبقع السوداء وهي بالأبيض والأسود.

على أي حال، بغض النظر عن شخصية سيلينا هارينغتون أو شكلها، استمر هذا الزواج لمدة عامين. إلا أن زوجته هجرته بعد الحادثة بوقت قصير، ثم تطلقا بعد سنة وذلك بعد ادعائها عليه بأنه متورط مع امرأة أخرى.

هنا خطرت ببالها فكرة ثانية: ربما تكون المرأة الأخرى في منزل فوكنز، وهي تنتظرهما للترحيب بها.

تحركت سكاى في مقعدها بغير ارتياح، وبدأت تمضغ شفتها السفلى بتوتر وقلق. أخيراً قالت: «لا أريد أن أزعجك... أنت أو أي شخص آخر... بظهوري بهذه الطريقة في بيتك».

- لست مصدر إزعاج على الإطلاق.

لم تعتبر سكاى كلامه هذا جواباً مفيداً. إنها تعرف فوكنز بما يكفي لتدرك أنه لا يهتم برده فعل الآخرين تجاه ضيوف غير متوقعين. أما هي

فقد تعلمت في الأشهر القليلة الأخيرة أن الرفض أمر مؤلم جداً، ويعلم الله أنها تلتقت الكثير من الصّد مؤخرًا. أخذت نفساً عميقاً وبدأت تسأله: «فوكنر! ماذا...؟».

- دعينا نتحلّى بالصبر لما تبقى من هذا الأسبوع. هل أنت موافقة؟ سيكون لدينا متسع من الوقت لكي... نتحدث لاحقاً. ما رأيك؟ ما تبقى من هذا الأسبوع؟ أيعني حتى... جنازة والدها؟

هذا مستحيل! إنه أمر لا يصدق! ما زالت سكاى تشعر أن والدها لم يمّت. إنها تتوقع دخوله فجأة من الباب مطالباً بكوب كبير من القهوة كي يقيه صاحياً بعد نهار عمل متعب، وأحياناً أخرى تتخيل أنه وراء زاوية ما وأنها ما إن تصل إليها حتى تجده في انتظارها كما عودها دائماً، وأنه سيطلق تلك الضحكة المجلجلة التي تخبرها أن العالم ما زال بألف خير.

ماذا ستفعل بدونها؟ لطالما كانت مقربة جداً من والدها، لاسيما أنها لازمتها فترة طويلة ولم يكن في حياتها أي شخص سواه. هي لا تعرف كيف ستتدبر أمورها من دون وجوده بقربها، ولا تطيق أن تفكر أنها ستعيش حياتها من دون أن يكون فيها.

اجتاحها إحساس مدمر باليأس، ولم تعد تشعر بما يدور حولها. لم تلاحظ أن فوكنر ألقى عليها نظرة حادة قبل أن يوقف السيارة بجانب الطريق ويطفئ المحرك، ثم يفك حزام الأمان ويستدير ليأخذها بين ذراعيه.

بدا كأن دفة ذراعيه وصلابة صدره حيث تكوّرت هما القشة التي قصمت ظهر البعير، شعرت أن الغضّات تتجمع في بلعومها وتخنقها، وما لبثت أن انفجرت ببكاء مرير هزّ جسدها وأطلق حزنها وشعورها بالهجران.

- لا بأس... لا بأس، يا سكاى!

تمتم فوكنر بذلك برقة ويده تتحرك صعوداً ونزولاً على ظهرها محتضناً إياها بشدة. تابع بصوت حنون: «أنا هنا. سأبقى معك ما دمت بحاجة

إليّ. سكاى، لا تبكي».

لكن كلامه الرقيق جعلها تبكي أكثر. منذ ثوان فقط شعرت أنها وحيدة ولا سند لها، لكن كلمات فوكنر اخترقت الألم الذي استنزفها وذراعاه أدفأنا قلبها، فعلمت أنها ليست وحيدة تماماً، وأنه يعني ما يقول. سيقى قربها ما دامت بحاجة إليه.

بعد هذا الاكتشاف شعرت سكاى بالخطر الذي يهدق بها. إنه خطر لا تعرف كيف تتعامل معه الآن. إنها فعلاً بحاجة ماسة إلى فوكنر، لكن... فكرت أن أسهل حلّ هو أن تدعه يتولى زمام الأمور وأن تبقى معه ولا ترحل، لكن بما أنها تحبه كثيراً فهي لا تستطيع فعل ذلك.

أرجعت رأسها إلى الوراء قليلاً، ومسحت دموعها بظاهر يدها. لم تجرؤ على مواجهة نظرات عينيه الزرقاوين المتفحّصتين، إلا أنها قالت بتصميم: «أنا بغير الآن. للحظات فقط كنت... أصبحت بغير الآن».

أخرجت سكاى نفسها من دائرة ذراعي فوكنر، وأسندت ظهرها إلى الباب مبتعدة قدر الإمكان عنه داخل السيارة. سألتها برقة: «هل أنت متأكدة؟».

ابتلعت سكاى ريقها بصعوبة. لا يمكنها أن تتكيف مع طريقة تعامله اللطيفة معها.

- بالطبع، أنا متأكدة. هيا! لنذهب يا فوكنر.

تابع النظر إليها بإصرار، فاشتد ضغطها على فكّيها لكنها لم تنظر إليه. - حسناً!

أخيراً تقبل إجابتها. أدار محرك السيارة، وناور ليعيدها إلى الطريق.

- سكاى! سنصل بعد عدة دقائق...

آه! يبدو أن هناك شخصاً آخر في البيت. ردت سكاى ببرودة فائلة: «لا تقلق يا فوكنر. أعدك ألا أتدخل في شؤونك قدر الإمكان في الأيام المقبلة. في الواقع، إذا ارشدتني إلى غرفتي سأبقى هناك حتى... ما بعد يوم الجمعة. لا داعي لأن يعرف أحد أنني أسكن معك. أنت...».

- سكاي، اصمتي!

قاطعها فوكنر بحدة فيما يدها تقبضان بشدة على المقود، وأكمل: «لا يهمني أن يعرف أي شخص أنك في منزلي. لا يهمني لو اخترت أن تتجولي في المنزل مرتدية ثيابك الداخلية فقط! هل كلامي واضح؟».

افتتحتها عن شبه ابتسامة لغضبه الواضح، وما لبثت أن قالت: «أعتقد أنني سأصرف النظر عن فكرة التجول في المنزل مرتدية ثيابي الداخلية فقط إذا لم يكن لديك مانع».

- يا للخسارة!

تشدق فوكنر بذلك، ثم هز كتفيه قائلاً: «بالرغم من أن الأمر سيبدو مسلياً، لكنه غير عملي بوجود مدبرة منزلي، فهي تعيش في البيت أيضاً».

استدار بالسيارة باتجاه الطريق الفرعي المرصوف بالحصى الذي يقود إلى بيته.

مدبرة منزل؟!!

تفحصت سكاي فوكنر بنظرات حائرة، ولم تعرف بما تحجب. لاشك أن فوكنر يحاول جذب اهتمامها إلى شيء آخر أقل حزناً في الأيام القادمة وقد نجح في ذلك.

- أردت أن تقول شيئاً حول ما سيحدث حين نصل.

أوقف فوكنر السيارة خارج المنزل، ثم أجابها قائلاً: «الأمر ليس مهماً. ستحدث عن ذلك لاحقاً أيضاً».

يبدو أن هناك أشياء كثيرة ليتحدثا عنها لاحقاً، لكن سكاي تناست الفكرة حين نزل فوكنر من السيارة ودار حولها. فتح لها باب السيارة، وأمسك ذراعها ليساعدها على النزول، مع ذلك سببت لها الحركة آلاماً في أضلاعها.

نظر فوكنر إليها بحزن حين تمكنت أخيراً من الوقوف على الأرض المرصوفة بالحصى بجانبه.

- تبدين كأنك قطعت عشر جولات مع لينوكس لويس.

- صدقني! جزء مني يشعر كما لو أنني قطعت عشر جولات مع لينوكس لويس.

ضحك فوكنر بنعومة، ووضع يده على مرفقها فيما صعدا الدرجات الأمامية نحو المدخل.

لاحظت سكاي أن أحدهم قام بالاعتناء بالباحة والأراضي المحيطة بالمنزل، أما المنزل نفسه فلا يبدو متداعياً كما كان منذ ست سنوات. لاشك أن تجارة الأسهم والبورصة أمنا دخلاً لفوكنر أكبر مما أمنه له سباق الخيول.

أخذت نفساً عميقاً وحضرت نفسها لما يجئها لها القدر خلف باب السنديان الضخم، فهي لا تعلم إذا كان عدواً أم صديقاً.

حين رأى فوكنر اضطرابها طمأنها بجدية قائلاً: «سيكون كل شيء على ما يرام. أنا هنا. تذكري ذلك».

نعم. إنه هنا، وهي لا تملك أدنى فكرة عن السبب. لكنه وعدا أن يبقى بجانبها ما دامت بحاجة إليه وإلى أن تتخطى هذا الكابوس الرهيب إن استطاعت ذلك.

سألها فوكنر عندما انتهيا من شرب الشاي الذي أعدته مدبرة منزله: «هل ترغيبين في القيام بنزهة سيراً على الأقدام في الخارج؟».

حالما تعرفت سكاي بمدبرة منزله وهي امرأة في منتصف العمر زال خوفها تماماً، إذ علمت أن آني غراهام تعامل فوكنر كالطفل المدلل. وبعد أن تعرفت على سكاي، أصبحت تعاملها بالطريقة الودية نفسها، فراحت تحثها على تناول السندويشات والمقبلات كي تكسب بعض الوزن.

لاشك أنها ستشعر بالانزعاج حين ترى أنهما لم يكملا شرب الشاي اللذيذ الذي أعدته لهما. ربما لهذا السبب اقترح عليها فوكنر أن يتمشيا خارجاً، فبهذا يتجنب الإزعاج. تابع فوكنر كلامه بركة: «أم تفضلين الصعود إلى الأعلى والاستلقاء قليلاً؟ كانت فترة بعد الظهر حافلة بالنسبة إليك».

هزت سكاى رأسها، وقالت: «أعتقد أنني ارتحمت بما فيه الكفاية خلال الأسبوع الماضي. لكن إذا كنت مشغولاً بأمر آخر...».

وقف فوكنر ومد يده إليها كي يساعدها على الوقوف، ثم قال: «تعالى! لتتمشى معاً».

تجاهلت سكاى يده الممدودة، ولم تحبذ فكرة الخروج. صحيح أن مدبرة المنزل ودودة ومرحبة، إلا أن هذا لا يعني أنها ستلقى الاستقبال ذاته من العاملين الآخرين في منزل فوكنر. عبس فوكنر وهو ما زال يمد يده إليها، ثم قال: «سكاى! مهما كان حزنك شديداً، لا يمكنك الجلوس هنا وتجنب مواجهة الآخرين».

رفعت رأسها، ونظرت إليه بتحد قائلة: «من قال إنني لا أستطيع ذلك؟»

أجاب فوكنر بدون تردد: «أنا. كلانا نعلم أنك حين تقعين عن ظهر الحصان عليك أن تجلسي على السرج وتحاولي من جديد».

- هل فعلت أنت ذلك؟

توقفت سكاى عن الكلام فجأة حين أدركت أن ما تقوله غير حساس للغاية، بالطبع! ليس ذلك ما فعله، فقد أصيب ببحرور بليغة ربما منعه من ركوب الخيل إلى الأبد. تمنت باستهجان: «الأمران ليسا متشابهين على الإطلاق».

- بل هما كذلك.

هز رأسه باقتضاب، وتابع يقول: «والدك كان يقول لك الكلام ذاته...».

قاطعته وعيناها تومضان بشراسة: «لا تبدأ بالتكهن عما كان سيقوله والدي».

تنهد فوكنر بنفاد صبر، ورد بانزعاج: «سكاى! أنت غاضبة فقط لأنك تعلمين أنني على حق».

نعم، إنها كذلك. لطالما كان والدها رجلاً عقلاً، وفلسفته في

الحياة هي: إن تعرضت للسقوط أو جاءتك ضربة من أي نوع، عليك أن تنهض وتتابع طريقك. هذا ما فعله بعد وفاة والدته سكاى وخلال الأشهر الستة الأخيرة الصعبة، وهذا ما يريد من سكاى أن تفعله الآن. إنها تعرف ذلك بقدر ما يعرفه فوكنر، لكن ذلك لم يغير الواقع وهو أنها قد تشعر بالتململ وعدم الارتياح لو خرجت لتتمشى مع فوكنر ورآها أحد ما.

- أنا أشعر بالتعب يا فوكنر.

- جبانة!

تمتم فوكنر بنعومة، لكن سكاى سمعته ووافقت سراً أنه على حق، فهي تنصرف كجبانة وهي متأكدة أن والدها ما كان ليوافق على ذلك، ولكن أخبرها بعض القصص الإيرلندية التي تسخر من خوفها. لكنها أدركت أن طريقة فوكنر في جعلها غاضبة لها التأثير ذاته.

- حسناً سأذهب معك.

وافقت على اقتراحه بنبرة عنيفة متجاهلة يده الممدودة باتجاهها، كما تجاهلت الألم الذي شعرت به في ضلوعها وهي تجاهد للوقوف على قدميها. سألته بتحد وعيناها الزرقاوان تلمعان بشراسة: «هل أنت راضٍ؟».

أجابها بخفة وهو يفتح لها الباب لتمشي أمامه: «تماماً».

مشت سكاى بتصلب، ليس فقط بسبب ألم ضلوعها بل أيضاً لأنها لم تكن تريد الذهاب.

- هل أنتِ على ما يرام؟

سألها فوكنر برقة بعد عدة دقائق حين اقتربا من الاسطبلات التي بدت هادئة وقد خلت من الحركة والأصوات التي كانت تعج فيها قبل ست سنوات.

ردت بتوتر: «أنا بخير».

- من هنا.

انعطف نحو اليسار، وقادها في ممر تحيط به من الجانبين حظائر مغلقة، وقد ظهر عرجه واضحاً الآن.

عبست سكاى وهي تلحق بفوكنر بتردد: «فوكنر! أنا لا أفهم. إلى أين نحن ذاهبان؟».

بحق السماء! لماذا يجول بها بين الحظائر المهجورة؟

ربما هذا جزء من أمثلة يريد أن يشرحها لها فوكنر على طريقة قصص أبيها الإيرلندية، وربما يريد أن يريها أنه نجح بالرغم من أنه لم يعد يشارك في سباقات الخيل وهو العمل الذي يحبه، ولهذا عليها أن تكمل حياتها من دون والدها. إذا كان الأمر كذلك، فإن فوكنر يضيع وقته لأنها...

علّق فوكنر بخفة: «كدنا نصل».

قاطعت سكاى قائلة: «أنا...».

ثم توقفت حين سمعت صوتاً مألوفاً. توتر جسدها وهي تستدير باتجاه الصوت، ثم لاحظت أن الحظائر ليست كلها فارغة. اتسعت عيناها بعدم تصديق حين سمعت الصهيل المألوف يتكرر بصوت عالٍ.

- ستورم؟!

سألت بانبهار وركضت نحو الصوت متخطية عدة حظائر، ثم وقفت بعدم تصديق أمام الرأس الكبير الذي يطل من أعلى باب الحظيرة والذي أخذ يشم وجهها.

- ستورم!

اخذت الكلمات في صدرها، فدفنت وجهها في رقبتة السوداء اللامعة والدموع تهمر حارة على خديها وذراعاها تتمسكان به بضعف.

منذ ست سنوات، تلقت صدمة عنيفة بعد ثلاثة أشهر من لقائها فوكنر، وذلك حين وصلت إلى اسطبل والدها ذات مساء حظيرة متقلبة وبدخلها ستورم. نظرت إلى والدها مدهوشة حين عرفت الحصان، فرد عليها والدها برضى: «غير فوكنر رأيه. في الأسبوع الماضي اتصل بي وأخبرني أنه وافق على أن أشتري ستورم. لم أخبرك لأنني أردت أن يكون

الأمر مفاجأة لك».

كلمة مفاجأة لم تكن كافية لتصف شعورها. لم يبذ فوكنر هارينغتون كرجل يغير رأيه حول أي شيء. بعد ذلك التائب الغاضب الذي صبه عليها قبل ثلاثة أشهر حين عادت مشياً على القدمين إلى بيته، باتت سكاى مقتنعة أنه لن يسمح لها بالاقتراب من أحد أحصنته، فكيف يسمح لها بتملك واحد منها؟

لكن ها هو ستورم أمامها، كبير وجميل كالعادة، وبمعجزة أصبح ملكها.

مازحها والدها قائلاً: «لا ترفضى هدية جاءت إليك يا عزيزتي».

وضع ذراعه حول كتفيها واحتضنها بحمبة، ثم وقفا معاً يتأملان الحصان الرائع.

هكذا، أصبح ستورم ملكها، لكنها لا تعرف ماذا يفعل ستورم الآن في إنكلترا. يجب أن يكون في حظيرة والدها في إيرلندة. كان هناك حين تحدثت مع عمها سيموس عبر الهاتف منذ أسبوع.

أدارت سكاى رأسها لتتظر إلى فوكنر ويدها ما زالتا حول رقبة ستورم وشحوب وجهها يظهر خطوط الدموع واضحة على خديها.

- لماذا... كيف... متى...؟

ثم هزت كتفيها بضعف ولم تعد تعرف ماذا عليها أن تقول.

- جلبته معي من إيرلندة ليلة البارحة... مع العلم أن مزاجه لم يكن جيداً خلال هذه الرحلة.

نعم. يمكنها أن تتخيل ذلك. يكره ستورم السفر على أنواعه، ولا شك أن عبور بحر إيرلندة في حظيرة متقلبة شكل له انزعاجاً كبيراً، لا سيما أن مزاجه سيء كما أشار فوكنر سابقاً.

أوضح لها فوكنر كيف ومتى، لكنه لم يشرح لها لماذا. لم يترك ستورم إيرلندة منذ أن تسلمته قبل ست سنوات، وقد أوضح مشاعره جيداً في ما يختص بالحظائر المتقلبة، فكيف رضي بأن يوضع في واحدة منها؟

بالرغم من ذلك تمكن فوكنر من إحضار الحظيرة المتقلبة معه من إيرلندة البارحة، ولاشك أن الأمر سبب له التعب نظراً إلى رجله المصابة، كما سبب التعب للحصان أيضاً.

هزت سكاي رأسها. لم تفهم أي شيء من هذا. نهار الجمعة وهو يوم ماتم والدها سيكون ثاني أسوأ يوم في حياتها، إذ إن أسوأ يوم هو يوم مقتله.

بالطبع لن تكون هناك ضرورة لبقائها في إنكلترا بعد ذلك. بالرغم من ذلك، ها قد أحضر فوكنر الحصان من إيرلندة البارحة، سألته بجدة: «ماذا كنت تفعل في إيرلندة؟»

- تلك الضربة على رأسك لم تؤثر على سرعة بديتهك. أليس كذلك؟
- أصبت بارتجاج فقط يا فوكنر، ودماغى ما زال سليماً.
هز فوكنر كتفيه، وقال: «لم أعرف ما الذي حدث... لم أعرف شيئاً عن الحادثة إلى أن رأيت تلك الصورة المريعة لك في المستشفى».

- من المدهش أنك استطعت أن تعرفنى.
هز فوكنر رأسه موافقاً، وقال: «لم يكن الأمر سهلاً. لكنك تبدين أفضل حالاً الآن».

- أحقاً؟ إذاً لاشك أن مظهري كان مريعاً في بداية هذا الأسبوع.
تذكرت سكاي كم بدت شعناء ومدمرة حين نظرت إلى صورتها في مرآة المستشفى.

- نعم، كان كذلك. وحين اتصلت أخبرتني موظفة الاستعلامات ورجال الأمن في المستشفى أنك ترفضين استقبال الزوار، لذلك، بدل أن أقبع في انتظارك إلى أن تتعافى وتخرجي من المستشفى، سافرت جواً إلى إيرلندة لأرى إن كان كان بإمكانى القيام بشيء هناك.

تهدد فوكنر، وأكمل قائلاً: «وضع عمك سيموس يدعو إلى الشفقة».

- نعم.
أكدت سكاي كلامه بثقة، فلا شك أنه أصبح كذلك منذ أن تركته

زوجته قبل سنة.

هز فوكنر كتفيه، ثم قال: «تحدثت إلى مدبرة منزلكم. لا مانع لديها في البقاء والاهتمام بشؤون المنزل. كما تحدثت مع سانس الخيل لدى والدك. إنه ما زال مستعداً للعناية بالجياذ أيضاً، لكنني فكرت أنك قد تفضلين وجود ستورم معك هنا».

بالرغم من هذا الإيضاح، بقيت هناك علامة استفهام كبيرة: لماذا أحضر ستورم إلى هنا فيما هي ستعود إلى إيرلندة بعد حوالى الأسبوع؟ ألا يجدر بها أن تعود إلى بيتها؟



٣ - لا تنتظريني

- أقترح أن تنامي باكراً الليلة يا سكاى.

تمتم فوكنر بذلك بعد أن تناولا العشاء، وحين نظرت إليه حائرة أضاف: «كان يومك حافلاً».

هذا صحيح! كان يوماً حافلاً لاسيما بعد أيام من الانطواء على ذاتها. لكن سكاى لم تجد فكرة خلودها إلى الفراش باكراً جيدة، فهي تعرف أنها ستظل مستيقظة ومنشغلة بأفكارها لوقت طويل. بالإضافة إلى ذلك هي ليست متعبة، ولديها الكثير من الأسئلة التي تتطلب إجابات كي تتمكن من النوم. أثناء تناولهما العشاء معاً لم يتكلم فوكنر كثيراً، وقدرت سكاى أن لديه أموراً خاصة يفكر بها، ربما لديه أصدقاء أو صديقة محدة يريد الاتصال بها.

بادرته سكاى قائلة: «أنا متأكدة أن هناك عدة أشياء تود القيام بها يا فوكنر. أرجوك، لا تدعني أؤخرك. لكنني لا أشعر بالنعاس الآن».

في الواقع ما زالت الساعة التاسعة والنصف.

عندما لاحظت عبوسه، أكملت بخفة: «أرجوك! لا تقلق بشأنى».

- لكنني قلق بشأنك يا سكاى.

هزت رأسها وأجابته: «لا داعي لذلك، حقاً. بالنسبة لي، ما زال الوقت مبكراً كي أنام».

رفع حاجبيه وسألها: «ما دام الأمر كذلك هل تلعبين الشطرنج؟».

ضاقت عيناها وأجابته: «بشكل سيء».

- همم...! ماذا عن...؟

- فوكنر! أنا لست طفلة بحاجة إلى التسلية.

أكدت له سكاى ذلك بنفاد صبر وهي تقف متجاهلة وخزات الألم التي شعرت بها في جنبها. مهما كان الألم قوياً عليها أن تتحمله كي تتخلص من فوكنر الذي يقف قربها كالبرج العالي. اسودت ملامح فوكنر، وأجابها بحدة: «ربما كان الأمر أسهل لو أنك طفلة».

عقدت سكاى حاجبها بحيرة وقالت: «لا أعرف ما الذي تقصده بقولك هذا؟».

تهدد فوكنر قبل أن يهز رأسه وهو يجيب: «لا! لا أعتقد أنك تفهمين. سكاى، أنا أبذل قصارى جهدي في هذه الظروف الاستثنائية، فأرجو أن تظهرى بعض التفهم. اتفقنا؟».

مقارنة بالرجل الذي تعرفت عليه سكاى منذ ست سنوات، يبدو أن هذا الرجل يفعل أفضل ما يستطيع من أجلها. هي توافقه على أن الظروف استثنائية، لكن المشكلة هي أن سكاى غاضبة. غاضبة من نفسها، من فوكنر، من عمها سيموس، ومن والدها...

كيف يعقل أنها تشعر بالغضب من والدها؟ ليس ذنبه أنه... أنه... دفعت سكاى تلك الفكرة بعيداً فيما شحبت وجهها.

- فوكنر، لماذا تكبذت عناء إحضار ستورم إلى هنا؟

تجنب فوكنر ببراعة الإجابة عن سؤالها هذا في وقت سابق حين خرجا من الاسطبل، بعد أن انشغل في حديث طويل مع أحد البستانيين، ولم تجد سكاى فرصة مناسبة أخرى لتطرح السؤال ثانية. أما الآن، فقررت التخلي عن اللياقة لأنها تريد جواباً، وتريده حالاً. أدخل فوكنر يديه في جيبي سرواله ورد بركة: «فكرت أنك ستحبين وجوده هنا حين تخرجين من المستشفى، لأنك بحاجة إلى صديق تتحدثين معه».

التوى فم سكاى بسخرية وهي تسأله: «ألم تعتقد أن حصانك سوف يفى بالغرض؟».

رد عليها فوكنر بسخرية: «لا، فطوال فترة تعارفنا لم آخذ هذا

اتسعت عينا سكاى بعدم تصديق. أترأه حقاً لا يعلم؟ ألا يمكنه أن يرى؟

شعرت بالارتياح حين أدركت أنه حقاً لا يعلم. فالأمور متأزمة بالفعل من دون الحاجة إلى شعور فوكنر بالشفقة عليها لأنها - ولسوء حظها - وقعت في حبه منذ ست سنوات، وما زالت.

ضحك فوكنر بنعومة وقال: «سكاى، أؤكد لك أنني لم أتوقع منك أن تركضي بسرور إلى ذراعى».

لا يعلم فوكنر حقاً كم شعرت سكاى بالاغراء كي ترتمي بين ذراعيه حين وصل إلى غرفتها في المستشفى صباح هذا اليوم لولا الألم في ضلوعها والكبرياء اللذين منعاهما، ولولا تصميمها على عدم إظهار سرورها لرؤيته. فوكنر هو أول شخص تحتاجه إلى جانبها في الوقت الحالي. هزت رأسها وقالت: «لا أعتقد أنني قادرة على الهروب إلى أي مكان في هذه اللحظة. فوكنر، أنا... أنا أشعر بالامتنان تجاه كل ما فعلته من أجلي...».

قاطعها ساخراً: «تبدين كطفلة صغيرة على وشك أن ترفض دعوة لحضور حفلة عيد ميلاد».

اتقدت عيناها غضباً، واعترضت قائلة بجفاف: «أنت لا تسهل الأمور عليّ أيضاً».

- ربما أفعل ذلك حين تتوقفين عن الاعتذار. لكن حتى ذلك الحين...

وهز كتفيه.

- ستواظب على إزعاجي، كما أظن.

اتسعت عيناها وسألها: «أهذا ما أفعله؟ ربما أسأل نفسي أين ذهبت سكاى أوهارا التي قفزت على ظهر ستورم منذ ست سنوات وانطلقت نحو المغيب».

احمرت وجنتاها بسبب تذكيره إياها بتصرفها المتهور فقالت: «لقد كبرت».

تجولت نظرات فوكنر عليها ببطء من رأسها حتى أخمص قدميها، بدءاً من شعرها القصير وملاعها الناعمة إلى جسدها الصياني النحيل... توترت سكاى تحت وطأة نظراته المتفحصة البطيئة. لماذا لم يقل شيئاً؟ أي شيء؟ أخيراً، رد فوكنر بنبرة صوت جافة: «هذا صحيح. ويشكل جميل أيضاً».

اتسعت عيناها وسألته: «عذراً... ماذا قلت؟».

التوى فمه بتسلية ومرح وأجابها: «أنا واثق أنك سمعتني منذ المرة الأولى. لكن إذا أردت يمكنكني أن أكرر...».

- لا، لا!

كزرت سكاى الكلمة بهدوء أكبر مستغربة كيف أصبح الحوار فجأة هيمياً، في حين أن الحميمية هي آخر شيء تتوقعه من فوكنر.

- ما الأمر يا سكاى؟

أصبح فوكنر يقف قربها بشكل غير مريح.

- هل تطلقين تحذيرات لا نية لك في تطبيقها؟

التمعت عيناها بتحذير وقالت: «يمكنني مواجهة أي تحد تقدمه».

- أحقاً؟

أصبح قريباً جداً منها الآن، حتى إن سكاى شعرت بدفء جسده وحرارة أنفاسه على صدغها.

تابع قائلاً: «لنر. ما رأيك؟».

ضمها بين ذراعيه في عناق جارف.

بدا لسكاى كما لو أنها كانت تنتظر ذلك العناق طوال حياتها، وأنها تتوق إلى فوكنر وذراعيه القويتين حولها، فاستسلمت إلى إحساسها بالسعادة لوجودها قريبة منه على هذا النحو.

تنهدت باستسلام، وضمته إليها باشتياق وحرارة واضحين، حتى لم

تعد لديها فكرة أين بدأ فوكنر وأين سينتهيان.

١٧ -

توقف فوكنر فجأة وأبعدها عنه بعنف وحدة، فيما راح أحد الأوتار يهتز في فمّه المتوتر. نظر إليها بعينيه الزرقاوين اللامعتين، وتابع قائلاً بقسوة وندم: «هذه ليست فكرة صائبة يا سكاى. أنت لا تدركين ماذا تفعلين».

بل تدرك! إنها تعانق الرجل الذي أحبته والذي تاقته إليه طيلة ست سنوات.

تابع فوكنر بجدة: «لا يحق لي أن أقوم بذلك. أنا... أنا أعتذر».

إنه يعتذر... يعتذر لأنه عانقها وأظهر لها المشاعر... فاضت عينا سكاى بالدموع وهي تنظر إليه بحيرة.

- كنت على حق في البداية يا سكاى. لدي أشياء أخرى أقوم بها.

استدار فوكنر على عقبه ومشي نحو الباب مسرعاً، ثم تمهل ليضيف قائلاً بنفاد صبر: «أعتقد أنه من غير المجدي أن أطلب منك أخذ الأمور ببساطة ليوم أو يومين. أليس كذلك؟».

تساءلت سكاى إلى أي حد يبدو مظهرها كئيباً وهي تقف وحيدة وسط غرفة الجلوس الأنيقة. لا بد أنها تبدو مهزومة ومجروحة جسدياً وعاطفياً...

- يمكنك أن تطلب ذلك.

- هذا ما ظننته. أعتقد أنك ترغيبين بقضاء الوقت مع ستورم، لكن لا تحاولي ركوبه. أهذا مفهوم؟ هذه المرة قد تضطربيني إلى أن أضربك على قفاك، وهو أمر كان يجب أن أفعله منذ ست سنوات.

وأغلق الباب بعنف خلفه.

منذ ست سنوات، قام بمعانقتها عوضاً عن القيام بضربها إلى أن كادت تفقد وعيها، وها هو يفعلها مرة ثانية الآن.

أحست سكاى بالدموع تجري ساخنة على خديها، فمسحتها بنفاد

صبر. لم تفعل شيئاً غير البكاء منذ أن أخرجها فوكنر من المستشفى.
الن ينتهي هذا الكابوس؟

- ظننت أنك ستكونين مستغرقة في النوم في الطابق العلوي.

توقف فوكنر قرب باب المطبخ حيث رأى سكاى جالسة قرب الطاولة في ذلك المطبخ الكبير الحميم. بدا عليها الاندهاش والشعور بالذنب لرؤيته. إنها الساعة الخامسة والنصف صباحاً، ولم تتوقع أن تجد أحداً صاحبياً، لاسيما أنها وجدت البيت ساكناً عندما نزلت السلام بهدوء قبل نصف ساعة.

كان فوكنر يرتدي قميصاً زرقاء وسروالاً من الجينز الباهت، وشعره ما زال رطباً بعد الاستحمام. لكن سكاى لم تبال بتغيير ثيابها قبل أن تنزل بل ظلت مرتدية قميص نومها القطنية القصيرة التي لبستها لكي تنام إلا أنها لم تنم.

استقامت في جلستها، وهزت كتفيها قائلة: «لم أستطع النوم. أرجو ألا تمنع، لكنني فكرت أنني إذا نزلت إلى هنا وشربت شيئاً ساخناً فقد أتمكن من النوم».

وأشارت إلى الكوب المليء بالقهوة أمامها.

بالرغم من أن النهار بدأ في الخارج، ما زال المطبخ معتماً. أما مصدر النور الوحيد فهو ضوء المصباح المثبت فوق الموقد، والذي ينعكس نوره على وجه فوكنر. أظهر هذا الأخير عدم الارتياح لرؤية سكاى، فتنفس بجدة، وهز رأسه قبل أن يدخل إلى المطبخ. نتمم بجفاء: «يبدو أن القهوة لم تنفع».

ربما كانت ستفزع لو لم يدخل فوكنر إلى المطبخ. كما يحصل عادة، وجدت سكاى حضوره مقلقاً، وطار النوم من عينيها أكثر من ذي قبل.

- لا. هناك قهوة في الابريق إذا رغبت باحتساء كوب منها.

في العادة، كانت ستقف وتصب له القهوة، لكنها لم تتحرك من

مكانها . بشكل عام ، وجدت أن ملابسها غير مناسبة لرفقة فوكنر .
- لماذا أعددت كمية كبيرة من القهوة وأنت تريدين كوباً واحداً فقط؟
علق فوكنر بذلك بعد أن رأى أن إبريق القهوة ممتلئ حتى النصف ،
ثم صبّ لنفسه كوباً . ابتلعت سكاي ريقها بصعوبة ، فيما قالت : «أنا لم
أفكر . . . أنا دائماً أحضر . . . أحضر إبريقاً كبيراً من القهوة كل صباح لي
ولأبي عندما نكون في المنزل . تصرفت بشكل ألي . أبي دائماً يقول إنني
أحضر قهوة لذيذة» .

أنهت كلامها بضعف ، فيما شحب خداهما بعد أن أدركت ما الذي
فعلته . كل ما تقوله أو تفعله يذكرها بوالدها الحبيب .
لن يعود أي شيء كما كان بعد اليوم . بحق السماء ! إن الأمر الآن
يبدو ككابوس ، فكيف سيكون الحال عندما تعود إلى إيرلندة من دون والد
تهتم به أو يهتم بها ؟
- كان محقاً بالطبع .

تمتم فوكنر بذلك وهو يتحرك ليجلس قبالتها إلى طاولة المطبخ . أخذ
رشفة أخرى من كوبه وقال بنبرة ملؤها التقدير : «أنت فعلاً تحضرين قهوة
لذيذة» .

هذا الوضع برمته بدا غريباً لسكاي . إنها تجلس هنا في أولى ساعات
الصباح بقميص نومها القصيرة ، وتتحدث إلى فوكنر من دون كل الناس .
فكرت في الماضي البعيد ، منذ ست سنوات . . . ستكون كاذبة لو أنكرت
أنها تمنّت أن تلتقيه يوماً ما في المستقبل ، لكنها لم تتوقع مطلقاً أن تراه في
ظروف مماثلة .

تخيلت أنها بعد ست سنوات ستتحلى بجمال لطالما حلمت به ، وأنها
ستبهر فوكنر بذلك الجمال بحيث لن يكون لديه مهرب سوى الوقوع في
حبها . لكن عوضاً عن ذلك ، وكما قال فوكنر نفسه ، ها هي تبدو كأنها
خاضت حرباً وخسرتها .

سألته بخفة : «ماذا تفعل هنا في الصباح الباكر؟» .

- لم أستطع النوم أيضاً .
عبست سكاي وقالت : «أرجو ألا يكون للأمر علاقة بي» .
ضاقت عينا فوكنر وسألها : «ما الذي يجعلك تظنين أن للأمر علاقة
بك؟» .

فوجئت سكاي لقسوته وأجابت : «أنا . . . فقط أقصد . . .
ظننت . . .» .

قاطعها ببرودة قائلاً : «لدي اهتمامات أخرى في حياتي بالإضافة
إليك يا سكاي ، كما تعلمين» .

قال هذا ووضع كوب قهوته الفارغ على الطاولة مصدراً قرعة قوية .
من المؤكد أن لديه اهتمامات أخرى ، وهي تعلم ذلك . ربما هو لم
يفكر بها طوال السنوات الست الماضية وحتى الأسبوع الماضي عندما ظهر
في حياتها فجأة .

- أنا آسف . . .

- أنا آسفة . . .

- من بعدك .

دعاهما فوكنر للكلام قبله إذ تحدثا في الوقت ذاته . هزت سكاي رأسها
وقالت : «أنا آسفة لإحلامك في هذا كله يا فوكنر» .

سألها فوكنر برقة : «في . . . ماذا؟» .

- أنا . . . الحادثة . وجودي هنا . . . كل شيء .

لم تعد سكاي تستطيع المتابعة . أو ما فوكنر بيده مشيراً إلى عدم
اهتمامه ، وقال بنفاد صبر : «أنا أقحمت نفسي باختياري يا سكاي» .

- لكن . . . !

- من دون لكن .

قاطعها بمجدة ، وتابع وهو يشعر بالاحتقار لذاته : «أنا آسف . لم يكن
من حقي الصباح في وجهك كما فعلت» .

- فوكنر . ستصبح المسألة كلها مضحكة وسخيفة إذا شعرنا بالحاجة

إلى الاعتذار من بعضنا بعد كل جملة نتلفظ بها طوال الأيام الأربعة القادمة.

ردّد كلامها بعبوس: «الأيام الأربعة؟».

تجنب سكاي نظراته المتفحصة، وقالت: «إلى ما بعد... عندما ينتهي المأم». .

- سكاي! أعتقد أنه لا يجدر بك أن تفكري بالعودة إلى إيرلندا قبل عدة أسابيع... على الأقل. أولاً، أنت لست مستعدة صحياً للسفر إلى أي مكان الآن. ثانياً، أنا... ما من شيء متبقٍ لك هناك يا سكاي. وجمت سكاي للحقيقة الواضحة في كلماته. كل ما بقي لها من حياتها في إيرلندا هو منزل فارغ. ثم أن ستورم مستقر براحة هنا الآن.

في الأمسية السابقة بعد أن ذهب فوكنر لاحظت أنه للمرة الثانية لم يجب عن سؤالها لماذا أحضر ستورم إلى هنا، لكنه ربما أجابها الآن. ذكرته سكاي بحدة: «هناك عمي سيموس».

أصبح وجه فوكنر أكثر تصميماً وقال: «أعتقد أنني كنت أكثر من واضح بالنسبة إلى عمك سيموس».

تنهدت سكاي وقد تذكرت رأيه هذا بوضوح، ثم أجابته: «نعم، فعلت. لكنه مرّ بظروف صعبة العام الماضي...».

- وأنت؟ ألم تمرّ بظروف صعبة؟

- لكن لست أنا من هجرتني زوجتي بعد زواج دام خمس سنوات.

- بصراحة يا سكاي، بعد أن تعرفت بعمك سيموس استغربت أنها بقيت معه طوال تلك المدة.

رغمًا عنها، اعترفت سكاي أن فوكنر على حق. التقى عمها سيموس بالعمة شانا وتزوجها في دبلن منذ أكثر من خمس سنوات وتشاركها حياة اجتماعية صاخبة هناك. لكن قرار العم سيموس بالانتقال إلى أرض العائلة في الريف منذ عامين لم يناسب شانا أبداً. منذ عام مضى، أعلنت شانا أنها لم تعد تتحمل العيش في الريف لحظة أخرى، وانتقلت عائدة إلى

دبلن. في هذه المرحلة، عاد عمها إلى حياته العابثة المستهترة أكثر من السابق.

لكن سكاي لم تتقبل انتقاد فوكنر المباشر لعمها. دافعت عنه بجرارة قائلة: «على الأقل هو يعيش حياة مستهترة حزنًا على زواجه الذي انتهى».

ما إن تفوهت بهذه الكلمات حتى ندمت عليها فوراً، لاسيما حين رأت وجه فوكنر يكفهر. أدركت أن لديه كل الحق ليغضب فهي لا تملك أي فكرة عن الظروف التي أدت إلى انهيار زواجه، وكل المعلومات التي تعرفها أخذتها من الصحف التي نقلت اتهامات زوجته له. حشها على الكلام بلطف قائلاً: «ما معنى كلامك بالضبط؟».

لكن سكاي لم تنخدع بنبرة صوته اللطيفة الزائفة. عرفت أنها لمست وترأ حساساً لديه، وهو أمر لا يحق لها إبداء الرأي حوله. أغمضت عينها لفترة قصيرة قبل أن تنظر إليه قائلة: «فوكنر، أنا لم أقصد...».

- بل قصدت. اللعنة!

أجابها بغضب دافعاً الكرسي إلى الخلف بشكل جعلها تصدر ضجيجاً قوياً، ثم وقف على قدميه وتابع يقول بقسوة: «أنت لا تعرفين شيئاً عن ظروف زواجي يا سكاي أو عن أسباب انتهائه. لا شيء».

راحت عيناه تقدحان شرراً فظياً وهو ينظر نحو الأسفل محدقاً بها، فشحبت وجنتا سكاي وابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تقول متلعثمة: «أنا فقط كنت... لم يكن يجدر بي...».

- انسي الأمر.

هز فوكنر رأسه بنفاد صبر، وتابع يقول: «لدي اجتماع في لندن هذا الصباح. هل تعتقدين أنه يمكنك أن تتدبري أمورك وتسلي نفسك لبضع ساعات؟».

أدركت سكاي أنه يتعمد إهانتها الآن. لكنها في اللحظة ذاتها اعترفت لنفسها أن لديه الحق في ذلك بعد ما لحث إليه حول انهيار زواجه

- نعم .

أكدت له ذلك بضعف وهي تخفض بصرها إلى الأسفل كي لا تضطر إلى رؤية الغضب الواضح على وجهه أو رؤيته يذهب، لأنها شعرت فجأة بالحزن لفكرة مغادرته . هي تعلم أن السيدة غراهام ستكون في مكان ما من البيت في الصباح، وهذا يعني أنها لن تبقى وحيدة، لكن ذلك لا يضاهي وجود فوكنر معها .

- سكاي!

لم تستطع سكاي أن ترفع نظرها إليه كي لا يرى الدموع في عينيها . ردت بصعوبة: «لا تدعني أؤخرك يا فوكنر» .

- أنا... سكاي... هل تبكين؟

أراد فوكنر أن يتأكد، فجلس قريباً ووضعاً يده على كرسيها، ثم أمسك ذقنها ورفع وجهها إليه كي يراه .

- أنت حقاً تبكين .

قال ذلك بدهشة وغضب، لكنه جذبها بقوة وحضنها بذراعيه ووضعاً رأسها على كتفه . انهمرت الدموع كالحمم الملتهية على خدي سكاي، ولم تتوقف... حين رفعت رأسها عن كتفه أخيراً، أدركت أن قميصه أصبح مبللة بالدموع . هزت رأسها وقالت: «أنا لا أصدق هذا . لم أهلك أبداً إلى أن... إلى أن جئت إلى المستشفى يوم أمس» .

لكنها الآن لا تستطيع التوقف عن البكاء .

- إذاً، أنت الآن تبكين بسبب الماضي .

ربما . لكنها لا تحب أن تنهار أمام فوكنر كما تفعل .

- لقد بللت قميصك .

- لدي قمصان أخرى . سوف أستبدلها .

رد عليها بعدم تركيز وهو ينظر إلى وجهها ويفتح شحوبه . سألتها:

«سكاي، هل تريدين الذهاب معي؟» .

طرفت بعينيها وسألته: «إلى لندن؟» .

رقت تعابير وجهه قليلاً، وقال: «الأمر ليس سيئاً إلى هذه الدرجة، لاسيما أنني سأنتقل الساعة التاسعة صباحاً» .

- أعلم ذلك . أنا فقط فكرت... ألن أقف في طريقك؟

- ربما، لكنني سأعيش مع الأمر .

ابتسمت سكاي وقالت: «في هذه الحالة، سأبقى هنا» .

على العكس مما ظنته سكاي في البداية . إن كلام فوكنر واقتراحه أن تذهب معه كانا كافيين كي تدرك أنها ستكون بخير هنا إلى أن يعود . رفع فوكنر عينيه نحو السماء وقال: «يا للنساء! أو بالأحرى يا لك من امرأة! لا أعتقد أنه يمكنني أن أفهم أي واحدة منكن» .

- وهل تريد ذلك؟ أنا أعتقد أن الاختلافات التي لا يمكن تفسيرها بين الرجال والنساء هي التي تجعلنا ننجذب إلى بعضنا البعض .

أرجعها فوكنر بجزم إلى كرسيها قبل أن يقف مستقيماً . أغمض عينيه قليلاً وهو يحرك رجله اليمنى . ثم وافق بجفاء: «ربما ما زال الوقت مبكراً هذا الصباح لأفهم الأمر» .

عبست سكاي وهي تراه يخطو مبتعداً عنها، ولاحظت أنه يضع معظم وزن جسده على رجله اليسرى . رطبت شفثيها بلسانها قبل أن تسأله: «هل... هل ما زالت ساقك تؤلمك؟» .

بدا لسكاي كأن حجاباً انسدل أمام عيني فوكنر الزرقاوين المعبرتين فأصبحتا بعيدتين تماماً وقاسيتين .

- نعم، ما زالت تؤلمني . لماذا تريدين أن تعرفي؟

عبست سكاي وردت قائلة: «أنا فقط أتساءل...» .

توقفت عن الكلام مدركة أنها نخطت خطأً أحمر حين لاحظت توتر فك فوكنر .

حشها فوكنر على متابعة الكلام قائلاً: «نعم . أنت فقط تتساءلين عن ماذا؟» .

شعرت سكاى بالتوتر، وأخذت تمضغ شفيتها السفلى بعصية.
- أتساءل إن كنت ما زلت تستطيع ركوب الخيل. وإذا... إذا كنت تفتقد المباريات والمنافسات.

ما إن قالت ذلك حتى شعرت بالندم، وتمنت لو أنها لم تتطرق إلى هذا الموضوع مطلقاً.

استقام فوكر في وقفته وقال ببرودة: «بالرغم من أن الأمر لا يعينك، لكن، نعم. ما زال باستطاعتي ركوب الخيل. أما بالنسبة للمباريات، كنت سأتوقف عنها عاجلاً أم آجلاً على أي حال».

نعم، لكن ليس بالطريقة المباحة التي أجبرته على ذلك، فهو أحد أفضل المتبارين في العالم، وبقي كذلك حتى يوم الحادثة التي وقعت له. ألا يفتقد لنشاطه السابق؟

- سكاى!

حذرهما فوكر بمجدة بعد أن قرأ الشفقة في عينيها وشعر بالانزعاج من ذلك.

- يجب أن تعرفي أن الشفقة على الذات عاطفة لا وقت لها عندي، أما بالنسبة إلى تقبل الشفقة من الآخرين... أقترح أن تركزي على جراحك الخاصة، ودعيني أركز على جراحي.

واستدار ليمشي باتجاه الباب قبل أن يضيف: «أعتقد أنني سأعود وقت الغداء، لكن إذا لم أكن هنا فلا تنتظريني».

راقبته سكاى يبتعد وهي تشك أنها ستتمكن من تناول الطعام وقت الغداء. يعلم الله أنها لم تقصد أن تسبب له الحزن، ففوكر تصرف بلطف معها على طريقته الخاصة منذ البارحة حين جاءت من المستشفى. لكنها فقط لم تستطع كبح فضولها تجاهه وتوقها إلى أن تعرف كل ما جرى له خلال السنوات الست التي لم تره فيها.

- و... سكاى...!

توقف فوكر عندما وصل إلى باب المطبخ المفتوح. نظرت إليه سكاى

بأمل وقالت: «نعم؟».

التوى فمه بسخرية وقال: «أعرف أنني قلت لك في البداية إنني لا أمانع إذا ما تجولت في بيتي مرتدية ثيابك الداخلية فقط، لكن لو شعرت برغبة في النزول إلى المطبخ في منتصف الليل لتناول شراب ساخن، من الأفضل أن تلبسي رداء ما فوق قميص نومك. قد تشعر السيدة غراهام بالصدمة لرؤيتك كذلك».

خرج من المطبخ، ثم أغلق الباب خلفه بهدوء. حدقت سكاى بالباب المغلق وفيها مفتوح. لم تعتقد... لم تفكر إطلاقاً أن فوكر لاحظ قميص نومها القصيرة الرقيقة، لكنها تذكرت أنها كانت بين ذراعيه منذ دقائق قليلة.

لم لا؟ ألم تشعر هي به في كل ذرة من كيانها؟



٤ - امرأة في حياته

- ماذا تظنين نفسك فاعلة؟

أجفلت سكاى لدى سماعها صوت فوكنر الحشن، وشعرت بالذنب. استقامت ببطء لتتظر من فوق ظهر ستورم إلى باب الحظيرة حيث وقف فوكنر، لكنها لم تستطع أن تميز تعابير وجهه إذا كانت أشعة الشمس ساطعة خلفه، إلا أن نفاذ الصبر بدا واضحاً في صوته وهو خير دليل على مزاجه الغاضب.

- أمشط ستورم.

لم يكن هناك داع لتجيبه إذ بدا واضحاً ما تفعله. علق فوكنر بانزعاج وهو يدخل إلى الحظيرة، ويغلق الباب السفلي خلفه: «هذا مخالف لتعليمات الطبيب، ومخالف لتعليماتي».

أدركت سكاى أن فوكنر يعتبر تعليماته أهم من تعليمات الطبيب، لكنها أمضت معظم فترة الصباح في المطبخ تتحدث إلى السيدة غراهام أو تتصفح واحداً من كتب الطبخ الكثيرة التي جلبتها المرأة الأخرى. تناولت فطوراً خفيفاً هو عبارة عن بيض مخفوق أصرت على إعداده لها مديرة المنزل، لكن فوكنر لم يعد من اجتماعه وقت الغداء. وجدت سكاى نفسها أمام خيارين: «إما أن تبقى في المطبخ وتكون مصدر إزعاج طوال فترة بعد الظهر، أو تخرج إلى الإسطبل لرؤية ستورم، وعرفت على الفور أي الخيارين أقرب إلى قلبها. حين وصلت إلى الإسطبل، لم تستطع منع نفسها من حمل الفرشاة وتمشيط الحصان. لكنها الآن، بعد أن رأت نظرة فوكنر المستهجنة، علمت أنه فهم الموضوع بشكل مختلف.

- أنا بخير يا فوكنر.

أكدت له ذلك برقة، وتابعت تمشيط ستورم لتثبت ذلك. أضافت: «أترى؟ أنا لا أتالم».

بدا على فوكنر أنه يجد صعوبة في السيطرة على غضبه ومنع نفسه من ضربها على قفاها كما هددها البارحة.

- أتركك وحدك لساعات قليلة فد..

ذكرته سكاى بغضب: «فوكنر! أنا في الرابعة والعشرين ولست في الرابعة من عمري».

- إن طفلة في الرابعة لديها ضلع مكسور تعرف تماماً أنها يجب ألا تمشط الحصان. ألا يمكن الوثوق بك وتركك وحدك لبضع ساعات من دون أن تسيئي التصرف؟

جمدت سكاى مكانها وهي تشد على فكها محاولة ألا تفقد أعصابها. أكدت له قائلة: «يمكن الوثوق بي يا فوكنر».

- لا أوافقك الرأي. آه...! لم أقصد بتلك الطريقة يا سكاى.

قال فوكنر ذلك بغضب وانزعاج حين أدرك فجأة ماذا تقصد. أكمل كلامه بهدوء وقال: «أنا لم أصدق يوماً تلك القصص عن كونور».

لكن الكثيرين غيره صدقوا، وما زال التحقيق في انهيار شركة أوهارا مستمراً. لكن ذلك لم يعد مهماً الآن، اعترفت سكاى بمرارة، فبموت والدها لم يعد اكتشاف الحقيقة حول سبب انهيار الشركة بتلك الطريقة يشكل أي فرق.

- سكاى!

نظرت سكاى إلى فوكنر وهي تحاول أن تتخلص ذهنياً من كتابتها وإحباطها. سألته برقة: «هل كان صباحك ناجحاً؟».

هز كتفيه ووضع يديه في جيبي سرواله، ثم رد بغموض وإيجاز: «لا بأس. لن أتعب نفسي وأسألك ماذا فعلت في صباحك».

ردت سكاى عليه بصوت مرتفع: «اعتقدت أنني ضيفة لديك لا

اسودّ وجه فوكنر لذلك الاتهام، وقال: «وأنا ظننت أنك في فترة نقاهة بعد إصابتك الأخيرة».

- أنا كذلك.

تنهدت سكاى ومشت لتضع الفرشاة مكانها في العلبة، ثم قالت بجزن: «لكنني أشعر بالملل يا فوكنر. لم أجد سوى كتباً عن الطبخ، وهي تدفعني لرميها من النافذة لاسيما أنني لا أجد فن الطبخ».

رفع حاجبيه الأشقرين باستهجان، وسألها: «بتأنا؟».

هزت سكاى كتفها، وقالت بتردد: «أعرف كيف أحضر البيض مع اللحم، إذ كنت أطهو عندما نضطر أنا وأبي إلى الخروج باكراً. لكن ما عدا ذلك، لا. لا أعرف كيف أطبخ».

تحيلت سكاى أن فوكنر سوف يصر عليها أن تبقى في المطبخ مع السيدة غراهام لتتلقى دروساً في فن الطبخ. أكملت كلامها مدافعة عن نفسها: «بمكنتي تنظيم مكتب، إدارة إسطنبول، تحضير قهوة لذيذة، حتى إنني أستطيع تغيير إطار مثقوب في سيارة مهما كان نوعها، لكن الانجازات التي تتضمن مهارات منزلية تفوق قدراتي».

اعتادت سكاى على وجود مدبرة منزل تهتم بأمور البيت في إيرلندا. في الواقع هي لم تملك أي تنورة أو فستان قبل ظهور العمة شانا في حياتهم، وقد أصرت هذه الأخيرة على أخذ سكاى للتبضع معها وشراء ثياب تبرز أنوثتها.

قد يبدو لبعض الناس أن قيام عازبين عجوزين بتربيتها قبل ست سنوات جعل حياتها غير تقليدية، لكن سكاى لم تشعر يوماً أن أي شيء ينقصها.

ابتسم فوكنر حين نظرت إليه متحدية، وقال: «في هذه الحالة ستجعلين من يتزوج بك رجلاً محظوظاً».

شخرت سكاى باشمزاز، وقالت: «لن أجعل أي رجل محظوظاً. أنا

لا أنوي الزواج».

بدأت الدهشة على وجه فوكنر الذي سألها: «لم لا، بحق السماء؟».

- لأن...

توقفت عن متابعة كلامها حين لمس أنف ستورم وجهها مطالباً إياها ببعض الاهتمام. قالت بنبرة ملؤها الأسف: «إنه بحاجة إلى بعض التمرين».

هز فوكنر رأسه وقال: «سأطلب من جورج أن يأخذه في نزهة. سكاى، انتظري بضعة أيام أخرى قبل أن تقومي بذلك بنفسك. اتفقنا؟».

اعترضت سكاى قائلة: «ستورم لا يجب أن يمتطيه أحد غيري هذه الأيام».

- أنا امتطيته عندما كنت في إيرلندا يا سكاى.

شرح لها فوكنر ذلك بهدوء عندما رأى الحدة في عينيها.

- أحقاً؟

لم تستطع إخفاء دهشتها، فمع تقدم ستورم في العمر ازداد طبعه السيء سوءاً ولم يعد يسمح لأحد بامتطائه حتى السائس الذي يعمل لديهم.

- كان عليه أن يعتاد عليّ بسرعة بما أننا سنسافر معاً إلى هنا. استمر بالركل داخل الحظيرة المنتقلة في محاولة لإظهار سخطه.

استدارت سكاى نحو الحصان، ومسدت شعره بيدها قائلة: «يا عزيزي المسكين».

سألها فوكنر بحفاء: «وماذا عني أنا؟».

استدارت سكاى إليه وحاجبها مرفوعان، ثم قالت: «ذهبت إلى هناك بمحض إرادتك في حين أجبر ستورم على القدوم إلى هنا».

- يا لك من امرأة جاحدة! شعرت بألم في مختلف أنحاء جسدي بعد أن وصلت إلى هنا في منتصف الليل.

- أنا متأكدة أن حماماً ساخناً تكفل بشفاء آلامك كلها.

بالرغم من أنها بدت لامبالية إلى حد كبير، إلا أنها علمت أن فوكنر لا يشعر بالامتنان لها لتذكيرها إياه بإصابته التي ما زالت تزعجه حتى الآن. لاحظت بعد ظهر هذا اليوم أن عرجه ازداد وضوحاً، ولا شك أن السبب هو قيادة السيارة لفترة طويلة خلال الوقت الذي أمضاه في لندن. استتجت سكاي أن الرحلة من إيرلندا مع ستورم أرهقته تماماً، وهذا يعود بها إلى السؤال الأول: لماذا يزعج نفسه من أجلها؟

تمتم فوكنر بنبرة جافة: «أرى أنني لن أحصل منك على أي تعاطف. حسناً! سأذهب إلى البلدة بعد دقائق قليلة. هل تريدني شيئاً؟».

أشرفت أساير سكاي التي أجابت: «أريد أن أذهب معك».

عبس فوكنر وقال: «لا أعتقد أنها فكرة جيدة».

اعترضت بجدة: «لم لا، بحق السماء؟».

- يجب أن ترتاحي.

أجابته بإصرار: «إذا ما ارتحت يوماً بعد فسوف أبدأ بالصراخ».

تنهد فوكنر بنفاد صبر وقال: «لو أنني علمت أنك ستثيرين المشاكل لتركتك في المستشفى ليوم أو يومين بعد».

واجهته سكاي بتحدٍّ ضمن حدود الخطيرة الضيقة: «لو أنني علمت أنني سأبقى سجيناً هنا لبقيت هناك على أي حال».

بدا الألم على وجه فوكنر الذي قال: «إنها المرة الثانية خلال دقائق قليلة التي تقولين فيها إنك تشعرين كأنك سجيناً. هل تشعرين أنك كذلك فعلاً؟».

انحنى كتفا سكاي بضعف حين أدركت كم تبدو ناكرة للجميل. فبالرغم من كل شيء، زارها فوكنر في المستشفى على الأقل، وهو شيء لم يفعله أي من أصدقاء أبيها المزعومين. أطلقت سكاي تنهيدة عميقة وردت قائلة: «ليس تماماً. أنا فقط... أعتقد أن الوصف المناسب لي هو عبارة: «على وشك الجنون».

استمر ينظر إليها لدقائق أخرى طويلة قبل أن يهز رأسه ببطء ويقول:

«حسناً!».

أستعت عينا سكاي التي سألته: «هل أنت موافق؟».

هز فوكنر رأسه وعيناه تزعجانهما ببريقهما وقال: «موافق».

- هل يمكنك الذهاب معك حقاً؟

- يمكنك الذهاب معي حقاً.

- آه، فوكنر! شكراً لك، شكراً لك.

ارتمت بين ذراعيه، إلا أنها شهقت على الفور من شدة الألم حين ذكرتها أضلاعها المكسورة أنها لم تشف بعد.

- آخ!!

لكنها لم تبذل أي مجهود للابتعاد عن فوكنر. شعرت بين ذراعيه بالراحة والدفء والحماية وأنها تفعل الصواب، فبقيت لتستمتع بهذه اللحظات الرائعة لوقت أطول.

ارتفعت ذراعه ببطء لتحتضنا خصرها، ثم وضع رأسه على رأسها المستريح على كتفه.

أغمضت سكاي عينيها مدركة أن هذا هو المكان الذي تافت إليه طوال ست سنوات. بالرغم من الأحداث الكثيرة التي مرت بهما خلال هذه السنوات الطويلة، سمحت سكاي لنفسها في هذه اللحظة بأن تضيع وسط سعادتها لوجودها قريبة منه على هذا النحو.

- سكاي، أنا... آخ!!

صرخ فوكنر وقفز إلى الوراء مجفلاً، ثم استدار لينظر إلى ستورم، فرأى أن الحصان الأسود يحدق به وأنفه قريب جداً منه.

- ستورم عَضني!

اشتكى فوكنر بدهشة مطلقاً سراح سكاي ليحك كتفه حيث عضه ستورم.

بعد أن نظرت سكاي إلى الحصان والرجل وهما يحدقان ببعضهما بشراسة، لم تتمالك نفسها من الضحك. ضحكت بقوة ولفترة طويلة إلى

أن تفرقت الدموع من عينيها، بعدئذ استقامت لتتظر إليهما، لكنها انفجرت ضاحكة مرة ثانية حين رأتهما ينظران إليها بتعال واستغراب.
- الآن عرفت لماذا قررت ألا تتزوجي أبداً.

قال فوكنر ذلك وهو يأخذ ذراعها ليقودها خارج الحظيرة، ثم أقفل الباب بإحكام خلفه، إلا أن رأس ستورم الكبير خرج من الجهة العليا للباب في محاولة ليحظى بعضة أخرى منه، لكن فوكنر كان أسرع منه وقفز جانباً محققاً به، ثم قال: «ذلك الوحش لن يدع أي رجل يقترب منك». اتسعت ابتسامتها ثم أجابته: «في الواقع، هو لم يناقش الأمر معي». - لا حاجة له بذلك.

تمتم فوكنر وهو يمسد الكتف التي عضها ستورم. أفاقت سكاى من جو المزاح الذي ساد، ونظرت إليه باهتمام قائلة: «هل سبب لك الأذى؟ ربما يجب أن ألقى نظرة...».

- لا

ردّ فوكنر بجدة، ثم تنهد حين رأى عينيها تسعان بدهشة بسبب العنف الواضح في نبرة صوته. استدرك قائلاً: «سأكون بخير. هيا بنا نذهب إلى البلدة قبل أن تقفل جميع المحلات أبوابها». شعرت سكاى بالسعادة لذلك الاقتراح، بالرغم من أنها تساءلت لماذا لم يدعها فوكنر ترى كتفه.

قرأت في الصحيفة منذ ثلاث سنوات عن الحادث الذي تعرض له، واعتقدت أن رجليه فقط تأذنا بشدة، لكنها الآن تعتقد أن هناك إصابات أخرى لم تعرف بأمرها.

حين وصلا إلى سيارة الرانج روفر اقترحت عليه قائلة: «هل تريد مني أن أقود؟».

رفع حاجبيه وسألها: «هل يمكنك ذلك؟».

ربما لا، لكنها لن تعترف بذلك بالرغم من أن أضلاعها تؤلمها بشدة الآن ففوكنر يبدو متعباً جداً.

- يمكنني أن أحاول.

- لا، شكراً.

فتح لها باب السيارة لتجلس على المقعد الأمامي، فاختل توازنه قليلاً وهو يفعل ذلك. قال لها: «نبدو كأننا زوج من العجائز». ردت عليه سكاى بنبرة جافة: «تحدث عن نفسك». أدار فوكنر المفتاح وشغل المحرك، ثم التفت إليها وقال: «لماذا؟ أما زلت تعتبرين نفسك طفلة؟».

- أنا لا أعتبر نفسي طفلة، إلا أنني لست عجوزاً.

- وأنا أؤكد لك أن الاصابة في ساقى لا تؤثر بي وأنا مستقلق بشكل أفقي.

فتحت سكاى فمها لتعطيه جواباً ذكياً آخر، لكنها أغلقت فورا حين فكرت بالظروف التي تدفعه إلى الاستلقاء بشكل أفقي.
- حسناً! حسناً! أخيراً، ها أنت عاجزة عن الكلام.

سخر منها فوكنر وهو يقود الرانج روفر خارجاً من الأرض المرصوفة بالحصى نحو الطريق الفرعية. في الواقع صممت سكاى لسبب وجيه، فقد امتلأ ذهنها على الفور بصورة فوكنر وهو مستقلق في السرير بشكل أفقي، ولم تشأ أن تفكر بالمرأة التي ستكون إلى جانبه.

- لا تتوقع مني أن أصمت دائماً، فالكلمات تتدفق من فمي بسرعة أحياناً.

- هذا ما لاحظته.

بما أن تبادل الكلام معه تركها في حيرة من أمرها، فالصمت الذي تلا بدا مريحاً. استمتعت سكاى بالهواء النقي وبوجودها خارج البيت. إنها وحدها مع فوكنر وسط منطقة ريفية رائعة، ما جعلها تنسى لدقائق قليلة الكابوس الخيف الذي هدد حياتها.

وصلا بعد قليل إلى البلدة القريبة، فلاحظت سكاى أنها عبارة عن قرية جميلة تحولت إلى سوق تجارية على مرّ السنين. ذكّرتها الطرقات الضيقة

وسطوح الأكواخ المصنوعة من القش بموطنها.

قالت لفوكنر ما إن ركن الرانج روفر في الساحة: «أحتاج إلى بعض الأغراض من الصيدلية. سأذهب لإحضارها».

- سأتى معك.

- أنا... أنا... أفضل ألا تفعل ذلك. أحتاج إلى بعض الأشياء الخاصة.

قالت ذلك فيما علا الاحمرار وجهها لشدة شعورها بالاحراج. هذه الأشياء الخاصة هي سبب رغبتها في القدوم معه إلى البلدة.

- أشياء... آه!

توقف فوكنر عن الكلام وزم شفتيه مفكراً، ثم هز رأسه أخيراً وقال: «حسناً! يجب أن أحضر بعض الطوابيع من مكتب البريد، لذلك سنلتقي هنا بعد عدة دقائق إذا كان ذلك يناسبك».

بدا ذلك أكثر من مناسب بالنسبة إليها. إنها المرة الأولى منذ عدة أسابيع التي تجرد فيها سكاي نفسها بمفردها مع مساحة كافية كي تتنفس وسط السلام الذي هي بحاجة ماسة إليه.

بدت البلدة جميلة والتجول فيها متعة للنفس. بدا الناس ودودين أيضاً وهم يمرون بها مبتسمين أحياناً وأحياناً أخرى يلقون عليها التحية. أحست أن كل ما حولها طبيعي، وقد افتقدت للأشياء الطبيعية في حياتها منذ وقت طويل.

بعد وقت قصير عادت إلى الساحة مع مشترياتها، ففوجئت لرؤية فوكنر يقف قرب الرانج روفر وهو يتحدث إلى امرأة داكنة الشعر تفيض بالحياة.

لم تعرف سكاي لماذا شعرت بالغيرة، فهي تعرف أكثر من غيرها مدى جاذبية فوكنر بالنسبة للنساء، فهي نفسها وقعت في حبه منذ اللحظة الأولى التي رآته فيها. لكن وجود المرأة الأخرى تركها في حيرة من أمرها. لم تعرف إذا كان عليها أن تنضم إلى فوكنر بالرغم من كل شيء أم

تركه ليكمل حديثه مع المرأة على انفراد.

جزء منها أخبرها أنها تتصرف بسخافة، وأن المنطق يقول إنها يجب أن تنضم إلى فوكنر وتنتظر أنها لم تجد شيئاً غير عادي في حديثه مع المرأة الأخرى. لكن جزءاً آخر قال لها إنها لا تريد أي تأكيد على أن الفتاة الجميلة ذات الشعر الداكن هي المرأة التي تحتل جزءاً من حياة فوكنر مؤخراً.

إن عدم وجود امرأة تسكن في بيت فوكنر لا يعني أنه ليس مرتبطاً بإحداهن. في الواقع، ملاحظته العرضية حول إصابته التي لا تسبب له مشكلة وهو «ينام بشكل أفقي»، زادت من شكوك سكاي أنه يقصد امرأة معينة.

جبانة! قالت سكاي لنفسها بنفاد صبر. فقط لأن فوكنر يتسم للمرأة الأخرى ابتسامة عريضة فيما تعمقت التجاعيد حول زاويتي عينيه وأصبح كيانه يفيض دفناً، فهذا لا يعني أنه على علاقة بالمرأة الأخرى. أم هو كذلك؟ على الأرجح أن سكاي ماتزال حقاً طفلة في ما يتعلق بقراءة الإشارات التي تدل على وجود علاقة ما، فحتى الآن تجربتها الوحيدة في هذا المجال هي زواج عمها سيموس وشانا وهو زواج متقلقل منذ بدايته. حدثت نفسها بصراحة قائلة: «امشي فقط بشكل طبيعي، وانضمي إليهما».

هي تعلم أنها لا تستطيع البقاء مختبئة في زاوية الشارع إلى الأبد، لاسيما أن عدة أشخاص راحوا يمدقون إليها بفضول كما يبدو.

وقفت المرأة الأخرى وهي تدير ظهرها لسكاي، لكن فوكنر رآها تقرب فنظر إليها من فوق كتف المرأة الأخرى ووجهه يشع دفناً. فجأة تغيرت ملامح وجهه، وأصبحت عيناه أكثر حذراً. بالرغم من أن سكاي شعرت بالتردد قبل اجتيازها الشارع، إلا أن التراجع لم يعد ممكناً الآن، لذا أصبحت مجبرة على الانضمام إليهما.

- ها قد عدت أخيراً!

رحب بها فوكنر بحماسة مبالغ فيها. لاحظت سكاي ذلك، فقطبت حاجبيها عابسة. استدارت المرأة ذات الشعر الداكن فجأة أيضاً، واختفت الابتسامة الدافئة عن شفثيها، فيما اتسعت عيناها بصدمة واضحة. شهقت قائلة باستغراب: «سيلينا!».

قاطعها فوكنر بجدة وهو يتحرك ليقف إلى جانب سكاي: «بييلندا، هذه سكاي أوهارا. سكاي، هذه بييلندا...». اندفعت المرأة قائلة: «آه! أنا آسفة».

ثم أضافت: «الأمر فقط... للحظة واحدة، وفيما الشمس خلفك هكذا، وشعرك الأحمر... لكن بالطبع أنت لست سيلينا».

أجبرت نفسها على الابتسام، ثم تذكرت شيئاً، فاستدارت إلى فوكنر عابسة وسألته: «هل قلت سكاي أوهارا يا فوكنر؟».

لاحظت سكاي الآن وقد اقتربت أكثر منهما أن المرأة أكبر سناً مما اعتقدت في البداية. إنها على الأرجح في بداية أو في منتصف الثلاثينيات من عمرها، لكن ذلك قد لا يؤثر في فوكنر لأن المرأة الأخرى أقرب إلى سنه من سكاي.

استغربت سكاي كيف أن المرأة اعتقدت أنها سيلينا في بادئ الأمر. أليست سيلينا زوجة فوكنر؟ حسب علم سكاي، تركت سيلينا فوكنر منذ سنوات، لكن يبدو أنها كانت حمراء الشعر أيضاً.

لكنها نسيت كل ذلك حين أجاب فوكنر المرأة الأخرى بصرامة قائلاً: «نعم. هذا ما قلته».

استقرت نظراته على بييلندا بثبات، فاسترجعت المرأة شتات نفسها بسرعة، ثم ابتسمت بإشراق وقالت: «يا له من اسم جميل!».

تصلبت سكاي متخذة موقفاً دفاعياً حين رأت النظرة التي تبادلها فوكنر مع بييلندا، فهي لم تنخدع للحظة واحدة بطريقتها الودودة. بدا واضحاً أن بييلندا سمعت باسمها من قبل بالرغم من أنها لا تعرفها، فحيرتها الواضحة وعبوسها أمران لا يمكن تجاهلهما. ردّت سكاي عليها

بتحدّ وسألتها: «أتعنين سكاي أم أوهارا؟».

علا وجنتي بييلندا احمرار خفيف، فندمت سكاي فوراً على تحدّيها حين رأت ارتباك المرأة وحيرتها مرسومين بوضوح على وجهها. يعلم الله أن سكاي تحاول جاهدة أن تتناسى ردة فعل الناس المستغربة تجاه اسمها ووجهها.

وقبل أن تجيب بييلندا، أنقذها فوكنر بقوله: «أخشى أنه يجدر بنا الذهاب الآن يا بييلندا».

رفع يده، ثم جذب ذراع سكاي وثبتها إلى جانبه. طرفت بييلندا بعينها، ثم هزت رأسها قليلاً قبل أن تستدير لتنظر إلى فوكنر وتقول: «وعدت الولدين أن آخذهما إليك بعد رجوعهما من المدرسة إذا كنت قد عدت».

- ها قد عدت!

ظلت بييلندا عابسة وهي تسأله: «إذاً، هل أصطحبهما لزيارتك؟». هز فوكنر كتفيه وقال: «لم لا؟».

استدارت بييلندا، ثم ابتسمت لسكاي وقالت: «سررت لمقابلتك يا سكاي».

- ستقابلينها بعد دقائق قليلة.

قال لها فوكنر ذلك بركة، وأضاف حين رأى استغرابها: «سكاي تقيم في المنزل معي».

ما زالت سكاي تفكر بكلمة «الولدين». أي ولدين؟ من المؤكد أنهما ليسا ولدي فوكنر، فهي تعلم أنه تزوج مرة واحدة ولم ينجب أطفالاً من ذلك الزواج القصير. لكنها استفاقت فجأة من تساؤلاتها حين اشتد ضغط يد فوكنر على ذراعها واستدار نحو المرأة الأخرى مبتسماً.

قالت سكاي بهتذيب: «إذاً، يبدو أنني سأراك لاحقاً مرة أخرى».

لكنها لم تعرف من تكون المرأة الأخرى وماذا تعني بالنسبة لفوكنر.

٥ - توامان وحفلة شاي

- سكاي، إنها أختي.

طوال الرحلة القصيرة إلى منزله ظلت سكاي مستغرقة في تفكير عميق حول الخطأ الذي ارتكبه بيلندا بشأن هويتها. من الواضح أنها سمعت باسم سكاي من قبل. تساءلت ما هو الدور الحقيقي الذي تلعبه الجميلة بيلندا في حياة فوكنر. كانت مأخوذة بأفكارها لدرجة أن كلمات فوكنر استغرقت وقتاً قبل أن تدخل إلى ضباب عقلها.

هل قال أختي؟ هل قال إن بيلندا الجميلة أخته؟

- إنها أختي الصغرى. والطفلان اللذان ستحضرهما قريباً هما ولداها: ميليسا وجيرمي، أو ليسا وجيمي كما ندللهما.

هل بدت حيرتها في ما يتعلق بمكانة بيلندا والولدين في حياته واضحة بالنسبة إليه؟

كان فوكنر غاية في اللطف معها. أخذها إلى بيته لتعيش هناك، فلا داعي لإضافة التعقيدات يجعله يلاحظ كم هي غبية لوقوعها في حبه طوال تلك السنين.

ابتلعت سكاي ريقها بصعوبة وأجبرت نفسها على الابتسام بإشراق فيما راح عقلها يعيد تقييم العلاقة بين فوكنر والمرأة الأخرى. قالت باندفاع: «تبدو لطيفة جداً».

نظر إليها فوكنر بسخرية وهز رأسه موافقاً، ثم قال بنبرة جافة: «إنها كذلك. أما الآن فيتأكلها الفضول لتعرف مكانك في حياتي».

اتسعت عينا سكاي وقالت: «كيف عرفت بشأنتي؟».

بيلندا لم تعرف بوجودها مع فوكنر إلا منذ دقائق قليلة.

- إنها أختي يا سكاي! الأخوات رومنسيات بطبعهن، ويشعرن بالفضول تجاه أي امرأة يرينها مع إخوتهم.

- فهمت. أنا لم أقصد أن أجعل الأمور... مخرجة لك مع عائلتك. هز رأسه وأجابها: «لم تفعلي. بيلندا تحاول تزويجي منذ فترة طويلة من دون جدوى».

تساءلت سكاي إن كانت بيلندا على معرفة بلقائنها الأول مع فوكنر. إن كان الأمر كذلك، فلا عجب أن يأخذ فوكنر محاولات أخته لتزويجه بتلك السخرية. قالت سكاي: «أنا متأكدة أن نواياها حسنة».

نظر فوكنر إلى سكاي بإعجاب وقال: «أوافقك الرأي. لكن في مطلق الأحوال، محاولات بيلندا تفشل دوماً عندما يتعلق الأمر بي».

والآن، حان دور سكاي لتتنظر إليه بفضول. قالت: «عندما يفشل المرء مرة، يبدأ بالتفكير مرتين قبل الاقدام على أي عمل جديد. هل هذا صحيح؟».

تصلبت ملامح فوكنر، ورد عليها بجمدة: «أعتقد أن سؤالك يأتي تحت عنوان «سؤال شخصي» يا سكاي».

بهت وجه سكاي للتوبيخ، لكنها تقبلته لأنها ربما تستحقه. مع هذا ففوكنر يعرف الكثير عن حياتها الخاصة وهي تشعر بالفضول لمعرفة المزيد عنه. لو فكرت بالأشياء التي تعرفها عنه لوجدت أنها تعرف أن والديه ما زالوا على قيد الحياة وأنهما يعيشان في فلوريدا وأن لديه أختاً اسمها بيلندا وهي تعيش مع عائلتها في بلدة قريبة من أخيها. لكن لا يمكن القول إن هذه الأمور هي تفاصيل خاصة عن حياته، في حين أن فوكنر يعرف عنها أكثر من ذلك. ثم إنها، وبسبب مشاعر العميقة تجاهه، تشعر بالفضول لمعرفة تفاصيل عن زواجه القصير.

- أنا آسفة.

تنهد فوكنر بقوة وقال: «سكاي، قبل الحادث الذي أجبرني على

الابتعاد عن سباقات الخيل منذ ثلاث سنوات، كانت حياتي كتاباً مفتوحاً وتفاصيلها كلها على صفحات الجرائد. وعندما انفصلنا أنا وسيلينا تصدّرت أخباري العناوين، ثم هدأ كل شيء. بعد ذلك بعام واحد، حرّك طلاق الأمور من جديد. لا يمكنك تصور مدى ارتياحي في السنتين الأخيرتين لأنني أعيش بهدوء بعيداً عن الأقاويل والأضواء.

ما الذي يعنيه؟ هذا ما حدث لها تماماً لكن بطريقة معكوسة، فقد أمضت معظم حياتها بسلام مع والدها ثم أصبحت الأشهر الستة الأخيرة كابوساً حقيقياً. نعم، إنها تفهم تماماً رغبة فوكنر بالعيش بهدوء وسلام. - ما دمت تشعر كذلك، لم يكن عليك الهجاء إلى المستشفى لرؤيتي، أنت من بين كل الناس، ثم إحضاري معك إلى منزلك.

في الواقع، استغربت سكاى عدم وجود صحافيين يقيمون خارج منزله ويتنظرون رؤية ابنة كونور أوهارا الآن.

نظر إليها فوكنر وقال: «أي نوع من الأصدقاء يجعلني ذلك؟».

- عقلانياً وحساساً.

- أتعلمين يا سكاى؟ لو أنني ذو طبيعة حساسة أكثر لشعرت ببحر عميق بسبب ترددك الواضح في البقاء بقربي.

كم هو مخطئ في هذا! فوكنر هو الشخص الوحيد الذي تريد البقاء بقربه، وهو الشخص الذي تآقت لوجوده معها في السنوات الست الأخيرة. هزت رأسها وقالت بنفاد صبر: «لم أكن أتحدث عن نفسي يا فوكنر. يبدو أن الصحافة لا تعرف بمكاني الآن، لكن ما إن يعرفوا أنني أقيم في منزلك، أخشى أن تخفي خصوصيتك لبعض الوقت».

- آه! لا تخافي يا سكاى. أنا ناضج بما يكفي، ويمكنني تحمل الهراء الذي سيرمونه في طريقي. أما بالنسبة لتأخر الصحافة عن القدوم...

توقف فوكنر عن الكلام قليلاً، ثم تابع قائلاً بلطف: «لا أعرف إن كنت قد لاحظت ذلك، لكننا غادرنا البيت هذا الصباح بطريقة ملتوية، وسنعود بالطريقة نفسها».

قال لها فوكنر ذلك هو يوجه الرانج روفر إلى مفترق طرق وعر. أضاف: «... وسبب ذلك هو أنني علمت من مصدر موثوق أن بعض الصحافيين يجتنبون بانتظارنا عند المدخل الأمامي».

غرقت سكاى في مقعد السيارة كالبالون الذي نفد منه الهواء. لاحظت بالطبع أنهما لم يغادرا المنزل عبر المدخل الأمامي، لكنها ظنت أن هذا الطريق أسهل للوصول إلى البلدة. لم يخطر ببالها سبب آخر لذلك.

- كيف تحتمل ذلك يا فوكنر؟

غصت سكاى فدفنت وجهها بين يديها. تنهدت وهي تقول: «كم سأتحمل بعد؟».

ثم بدأت بالبكاء حين تذكرت موت والدها. لم تلاحظ أن فوكنر أوقف السيارة إلا حين أحاطها بذراعيه وتمتم برقعة في شعرها الحريري الناعم: «بقدر ما يحتاج الأمر يا سكاى. أنت تقومين بعمل جيد».

لكن سكاى لم تتحرك، بل دفنت وجهها في كتفه واستمرت بالبكاء. رفعت إليه وجهاً مبللاً بالدموع، وكررت بصوت متكرر: «أقوم بعمل جيد؟ آه يا فوكنر!».

هزت رأسها قبل أن تسأله: «كيف تقول ذلك في حين أن كل ما أريد القيام به حقاً هو إيجاد مكان هادئ والاختباء فيه إلى أن ينتهي هذا الأمر؟».

أمسك ذراعيها برقعة، وقال بحزم: «لأنك ما زلت هنا ولست هناك. سكاى، هل تعتقدين أنني لا أعرف كيف تشعرين؟ بالطبع أنا أعلم. لكن حقيقة الأمر هي أنك لن تهربي وتختبئي بل ستبقين هنا، لأنك تعلمين أن كونور يريدك أن تفعلي ذلك».

إنه على حق. بالرغم من المشاكل التي واجهت شركة أوهارا والشائعات التي تلت والتكهنات التي نشرت في الجرائد وغضب حاملي الأسهم في الشركة، وبالرغم من الدعاية السيئة التي رافقت ذلك استمر

والدها في عيش حياته بانفتاح ووضوح كما فعل دائماً، ورفض الرضوخ للضغوطات.

نظر إليها فوكنر بإمعان، وبريق عينيه الزرقاوين يحنها على الاستمرار وعدم الاستسلام لمشاعر الذعر التي تجعلها تترك كل شيء وتهرب. لكنها في الحقيقة لا تستطيع أن تترك كل شيء وتهرب لسبب واحد وهو ماتم والدها الذي ستحضره بعد ثلاثة أيام. استقامت في جلستها، فهبطت يدا فوكنر بعيداً عن ذراعيها، لكنها بقيت تشعر بحرارة لمساته على بشرتها الحساسة.

تنهدت وقالت: «أنا آسفة. آسفة على انفجاري بهذا الشكل. أنا... سأحاول ألا أفعل ذلك ثانية».

ابتلعت ريقها بصعوبة، ورفعت ذقنها بتصميم. استقام فوكنر في مقعده قبل أن يهز رأسه بإيجاز ويقول: «أعلم ذلك».

ثم تمتم بنبرة رقيقة: «لكن أنا... أنا هنا، إذا احتجت إلي يا سكاى. حاولي أن تتذكري ذلك. هلاً فعلت؟».

مرة أخرى جالت نظراته القوية على وجهها الشاحب، فظهر على وجهها شبح ابتسامة ثم قالت: «سأتذكر».

- هذا أمر جيد.

قال فوكنر ذلك بسرعة قبل أن يشغل المحرك ويتابع السير عائداً إلى المنزل.

- فوكنر!

نادته سكاى بصوت خافت بعد لحظات قليلة وقد تمكنت من السيطرة على مشاعرها ثانية.

- نعم؟

- البارحة قلت... قلت لي إنك رأيتني خلال الشهور الستة الأخيرة.

نظر إليها بعبوس قبل أن يلتوي فمه بابتسامة ويسألها: «لماذا تتذكر

النساء كل ملاحظة يقولها الرجل لهن؟».

هز رأسه، فيما أكملت سكاى كلامه: «في حين لا يتذكر الرجال أي شيء تقوله امرأة؟».

زاد عمق ابتسامته وقال: «نحن نتذكر الأشياء الهامة».

- مثل ماذا؟

- مثل... مثل... مثل...

- رأيت؟ أنت لم تحب عن سؤالي بعد.

رد عليها كي يغیظها: «نسيت ما هو سؤالك. أنت... انظري! استغرقت عودتنا وقتاً طويلاً، فوصلت بيلندا والطفلين قبلنا».

أدارت سكاى رأسها فرأت سيارة ستايشن خضراء مركونة أمام المنزل، فأدركت أنها بلاشك سيارة أخت فوكنر. تمتمت بنبرة جافة: «كم هذا مناسب لك!».

ركن فوكنر الرانج روفر قرب سيارة الستايشن قبل أن يستدير إليها ويهز رأسه بسخرية قائلاً: «للأخوات منافع كثيرة بالرغم من كل شيء».

فكرت سكاى وهي تنزل من الرانج روفر أنها ستتطرق إلى موضوع رؤية فوكنر لها في وقت ما خلال الستة أشهر الماضية في وقت آخر. لو اعتقد فوكنر أنه تخلص من الإجابة عن سؤالها فسوف يفاجأ لاحقاً.

لكنها لم تستطع أن تقول له ذلك إذ خرج إعصاران صغيران من المنزل وكلاهما مصمم على الوصول قبل الآخر إلى ذراعي فوكنر.

- اهدااا!

قال فوكنر ذلك حين أوشك الطفلان الصغيران على إيقاعه أرضاً.

بعندئذ حمل كل طفل منهما على ذراع، وأنبهما قائلاً: «غبت ثلاثة أيام فقط لا ثلاث سنوات».

فكرت سكاى فوراً أن حمل فوكنر للولدين ليس جيداً لرجله. ليسا وجيمي توأمان يبلغان السادسة من عمرهما. شعرهما بني داكن وعيونهما

زرقاء، وهما نشيطان وقويان ويتمتعان بصحة جيدة.

- انزلا أنتما الاثنان.

تبعتهما والدتهما إلى خارج البيت. توقفت عند أعلى الدرج، ثم رفعت حاجبيها البنيين منتظرة ليسا وجيمي أن ينزلا إلى الأرض ويقفا على أرجلهما. قالت لهما باقتضاب: «هذا أفضل. والآن ألقيا التحية بأدب على ضيفة الخال فوكنر».

نظر الولدان باستحياء إلى سكاي، وبدا واضحاً أن ليسا هي الأكثر جرأة بينهما، إذ ابتسمت فجأة بجرأة فيما راح جيمي ينظر إليها وهو مخبئ خلف ساق فوكنر.

أخذت سكاي المبادرة، فابتسمت لهما وقالت: «مرحباً أنتما الاثنان! أنتِ ليسا وأنت جيمي. أليس كذلك؟ أنا سكاي».

رفع جيمي عينيه ونظر إلى السماء بحيرة، ثم حدق بسكاي. لكن ليسا لم تبد أي خجل بل قالت: «اسمك سكاي لأن عينيك زرقاوان مثل السماء».

نظرت سكاي إلى فوكنر نظرة معبرة كأنها تقول له رأيت؟ حتى الطفل يعرف لماذا سميت سكاي. ابتسمت للصغيرة وأكدت لها قائلة: «هذا صحيح».

- جئنا لنشرب الشاي.

أعلمتها ليسا بذلك بإشراق، ثم أضافت: «أليس كذلك يا خالي فورك؟».

رفعت رأسها لتتنظر إليه بثقة وهي تدس يدها برشاقة داخل يده الكبيرة.

- هذا ما يبدو. في الحقيقة، لن أفاجأ إذا علمت أن السيدة غراهام لم تحضره حتى الآن.

نظرت بيلندا إلى فوكنر وعبست بحيرة، ثم قالت: «أنت متأكد أنك لا تمنع وجودهما هنا اليوم؟».

أدركت سكاي أن سبب السؤال هو كونها ضيفة لدى فوكنر لكنها لم

تبال، فقد أحببت أخت فوكنر ووجدت التوأمين ساحرين وهما يقفان بجانب فوكنر وبمساكن يديه بثقة. سألت التوأمين بحماسة: «هل تعتقدان أننا سنتناول شطائر المرن مع الشاي؟ أنا أحب شطائر المرن».

- وأنا أيضاً.

أجابها جيمي بذلك باستحياء، ثم أضاف: «أنا أحبها بالفراولة».

- آه! بالطبع... الفراولة.

وافقته سكاي، ثم تقدمت الجميع لتصعد الدرج إلى حيث تقف بيلندا مراقبة.

- أنا أحب كعكة الشوكولا.

علقت ليسا بفرح كي لا يتفوق عليها أخوها ويسرق اهتمام الآخرين.

- إنها المفضلة لدي!

قالت سكاي ذلك وهي تهز رأسها، ثم ابتسمت لبيلندا وقالت بنعومة: «طفلاك رائعان!».

كشرت بيلندا وقالت: «يجب أن تجربي العناية بهما لمدة أسبوع!».

لكن نظرة الحنان والأمومة التي ألقتها على طفليها كذبت استياءها.

تشدق فوكنر قائلاً: «سبق أن اهتممت أنا بهما، ولدي ندوب تثبت ذلك».

ضحكت سكاي، وقالت للطفلين: «أعتقد أن الخال فورك يتعمد إغاظتكما. أليس كذلك أيها الخال فورك؟».

نظرت إلى فوكنر رافعة حاجبيها بسخرية. بعد أن سمعت كيف يتحدث فوكنر مع أفراد عائلته وكيف يخاطبونه بطريقة محببة، ومع وجود طفلين رائعين مثل ليسا وجيمي، فكرت سكاي أن العالم لم يعد يبدو مكاناً معتماً وخالياً من الأمل.

بعد أن دخل الجميع المنزل همس فوكنر في أذن سكاي قائلاً: «أنا أعتقد أن من الأفضل لك وللخال فورك إجراء حوار هادئ معاً في وقت

لاحق».

- أحقاً؟

ردت عليه سكاى بصوت خافت وهي تعلم أن الآخرين لا يمكنهم سماع حوارهما، بالرغم من أن بيلندا اليقظة راحت تنظر إليهما بفضول.

- حقاً.

ردد فوكنر كلامها بتأكيد، فابتسمت له لتغيظه قائلة: «انتظر ذلك بفارغ الصبر».

سألته ليسا بحماسة: «خالي فورك، هل أحضرت لنا هدايا من إيرلندة؟».

نظرت إليها أمها باستياء، وقالت: «ميليسا تشابمان! ماذا قلت لك بشأن طلب الهدايا؟».

- قلت لي إن علي أن أنتظر إلى أن يهديني الناس شيئاً فأشكرهم بلطف، لكنني أسأل فقط، إذ ربما نسي خالي فورك.

التوى فم فوكنر وهو يحاول جاهداً إخفاء ابتسامته. هز رأسه وقال: «أنت على حق يا ليسا، لقد نسيت. أعتقد أن هناك هدية لكل منكما على الطاولة في مكتبي...».

وقبل أن ينهي كلامه انطلق الولدان راكضين عبر الرواق الذي يؤدي دون شك إلى مكتبه.

انفجر فوكنر ضاحكاً، وبعد ثوان قليلة انضمت إليه أخته. هزت بيلندا رأسها وقالت باعتذار: «لا يمكن إصلاحهما حقاً. أنا آسفة لهذا يا سكاى».

لكن سكاى لم تكن تسمع ما يقال، بل هي مأخوذة في أفكارها حول ذكر ليسا لرحلة فوكنر إلى إيرلندة. من الواضح أن أفراد عائلته يعلمون أين ذهب في الأيام الثلاثة الماضية، لكن هل يعلمون أن الرحلة كانت من أجلها؟ ربما لا يعلم التوأم أن ذلك، لكن ماذا عن بيلندا؟

أرغمت نفسها على التخلي عن تلك الأفكار لتؤكد للمرأة الأكبر سناً:

«لا داعي للاعتذار. قلت لك رأيي سابقاً. أعتقد أن طفليك رائعان».

ثم أنها هي الدخيلة هنا، إذ من الواضح أن الولدين معتادان على الحضور إلى هنا دائماً عندما يكون فوكنر موجوداً. يبدو ذلك من خلال تحركهما بالفة في أنحاء البيت.

جعلت حماسة الولدين الوقت يمر بسرعة فيما ساد جو من الاسترخاء السهل. راحت ليسا تثرثر حول دميتها الجديدة، وبدا جيمي مأخوذاً بلعبته أيضاً، وقد شربا بسرعة الشاي الذي أعدته لهما السيدة غراهام في المطبخ. في الواقع، شعرت سكاى بالارتياح لوجودهما ولم تشعر بأي انزعاج حين ذهب فوكنر إلى مكتبه ليتلقى مكالمة هاتفية.

- أنا آسفة جداً بسبب... بسبب خسارتك الكبيرة يا سكاى.

قالت لها بيلندا ذلك بنعومة وهي تنتقي كلماتها بعناية كي لا تثير فضول الصغيرين المنهمكين في تناول كعكة الشوكولا.

ابتلعت سكاى ريقها بصعوبة وقالت: «لا أعرف ما الذي كنت سأفعله لولا مساعدة فوكنر لي في الأيام الأخيرة الماضية».

هزت بيلندا رأسها وقالت: «هو ووالدك صديقان مقربان».

يبدو ذلك جليلاً! لكن سكاى استغربت أنها لم تعلم شيئاً عن صداقتهما التي استمرت بعد أن ابتعد فوكنر عن سباقات الخيل منذ ثلاث سنوات.

- نعم.

- أنا لا أقصد أنك وفوكنر لستما صديقين.

قالت بيلندا ذلك بسرعة لتغطي إحراجها، ثم أضافت: «قابلت والدك هنا عدة مرات».

أطل وجه فوكنر الواقف عند باب المطبخ: «بيلندا، هل يمكنكني التحدث إليك قليلاً قبل أن تذهبي؟».

بالرغم من أن وجهه بدا خالياً من التعابير، إلا أن سكاى شعرت بأمواج الاستياء تنقلب في داخله. أسرع بيلندا لتلاقي أخاها، فخرجت

من المطبخ على عجل .

شعرت سكاى بالفضول لمعرفة ما سيقوله فوكنر لأخته . من الواضح أن الحديث يدور حولها لذلك هو لا يريد منها أن تستمع إليهما . أم تراها حساسة أكثر من اللازم؟ بالرغم من كل شيء، إنها المرة الأولى التي يرى فيها الأخ أخته منذ أسبوع تقريباً، وربما لديهما أمور يريدان مناقشتها بعيداً عن الأذان الفضولية . بالإضافة إلى ذلك، هل سكاى مغرورة إلى هذه الدرجة لتفترض أن فوكنر لديه ما يقوله لأخته عنها؟

بعد أن مرت عشر دقائق ولم تعد بيلندا، استأذنت سكاى من التوأمن بحجة أنها تحتاج إلى دخول الحمام، وهي متأكدة أنهما سيكونان مسرورين لأنها تتركهما برفقة السيدة غراهام لبضع دقائق .

لم يكن هدفها استراق السمع، لكنها فعلاً تريد التفتيش عن فوكنر وبيلندا من دون تنبيه الطفلين، لأنها ظنت أن مكروهاً حدث لهما بعد أن تغيبا طويلاً . لكن عندما اقتربت من مكتب فوكنر وجدت الباب مشقوقاً، وسمعت بيلندا تتحدث داخل الغرفة . كلماتها جعلت سكاى تتجمد في الرواق .

- ... أنت تعرف أنه يجب إطلاع سكاى على كل ما يحدث يا فوكنر . رد عليها فوكنر بحدة : «هل تعتقدين أن الوقت مناسب لذلك الآن؟» .

- وهل سيكون هناك وقت مناسب أكثر؟

- سيقام المآتم بعد ثلاثة أيام يا بيلندا . لنؤجل الأمر إلى ما بعد ذلك .

- لا أرى أن تأجيل الأمر سيغير شيئاً و . . .

- لا أعتقد أنني طلبت نصيحتك يا بيلندا . أريد تعاونك فقط .

يا إلهي ! فكرت سكاى، إن تحدث معها فوكنر بتلك الطريقة الباردة وتلك النبرة الحادة فسوف ترغب بالانزواء والموت . من خلال صمت بيلندا بعد هذا الانفجار، أدركت أنها مصدومة لتصرف أخيها القاسي .

- أنا آسف يا ليندي . لم يكن علي إلقاء كل شيء على عاتقك . لكن،

لو تعلمين مدى الضغط الذي أرزح تحته في هذه اللحظة .

- أستطيع التخمين بدقة، لاسيما أنك قابلت سكاى .

- بيلندا، لا تجمعي اثنين مع اثنين وتحصلي على خمسة . اتفقنا؟

ردت عليه بيلندا بسخرية : «آه ! أظن أن الحصول على أربعة يكفي .

فوكنر، لماذا . . . ما هذا؟ أعتقد أنني سمعت ضجة في الخارج» .

في الحقيقة، الضجة التي سمعتها بيلندا هي صوت التوأمن وهما يركضان في الرواق للبحث عن أمهما وخالهما . من الواضح أنهما قضايا على الشاي، وهما يشعران بالتخمة والرغبة في العودة إلى المنزل . وبما أنها في الوسط علمت سكاى أنها لن تستطيع الاستمرار بالوقوف في الرواق . إن لم يصل إليها جيمي وليسا أولاً فسوف تخرج بيلندا أو فوكنر من المكتب للتحقق من الضجة ويعلمان أنها تقف هنا وتستمع إلى حديثهما .

- انتبها!

استدارت نحو التوأمن وحذرتهما من الاصطدام بها لشدة سرعتهما . في تلك اللحظة، فتح فوكنر باب المكتب وقطب حاجبيه حين رأى الأشخاص الثلاثة يقفون هناك . قالت له سكاى برقة : «بدأ التوأمان يتساءلان أين ذهبتما أنتما الاثنان» .

استمر فوكنر بالعبوس، وضافت عيناه بتساؤل . بدا واضحاً تماماً أن إيضاحها هذا لم يقنعه .

خرجت بيلندا من الغرفة، ووقفت عند الباب قرب أخيها ثم قالت : «كنت أقول لفوكنر إننا يجب أن نذهب الآن» .

ثم وجهت كلامها للتوأمن قائلة : «قبل أن يبدأ والدكما بالتساؤل لماذا لم أحضر له العشاء قبل أن يأتي إلى المنزل» .

عبست سكاى للمرأة الأخرى وهي تدرك تماماً أن بيلندا لم تقل لأخيها أي شيء من هذا القبيل . ما معنى ذلك الحوار الذي دار بين

الأخت وأخيها؟ ما السر الذي يخبئه فوكنر عنها؟ ولماذا؟

تابعت بيلندا حديثها قائلة : «في الحقيقة يا سكاى كنت فقط أذكر

فوكتر بجفل الشواء الذي سنقيمه يوم الأحد بمناسبة عيد ميلاد الطفلين السادس. وبالطبع، أنت مدعوة. لكن فوكتر لم يعتقد أن ذكر الموضوع الآن فكرة جيدة.

نظرت سكاي بعبوس إلى المرأة الأخرى. لاءم هذا الإيضاح الأجزاء البسيطة التي سمعتها من الحوار الذي دار بين الأخ وأخته. لكن...

٦ - عرض غريب



- لم يبق سوى ساعات قليلة يا سكاي، ثم ينتهي هذا كله.
قال فوكتر ذلك برقة وهو يجلس بجانبها. إنه مأمم والدها، وهو مأمم خاص جداً.

كانت سكاي تنتظر في غرفة الجلوس مع فوكتر عندما وصلت السيارة إلى المنزل عند الساعة الثانية والنصف. سعدت هي وفوكتر إلى السيارة التي قادتهما إلى الكنيسة، ثم تبعتهما بيلندا وزوجها في سيارة أخرى وهما المشاركان الوحيدان في المأمم.
- سأبقى معك طوال الوقت.

أكد فوكتر لها ذلك وهو يمد يده الدافئة ليمسك يدها.
- أنت تتجمدين!

هذه الكلمة هي الأفضل لوصف مشاعر سكاي الآن. إنها لا تحس بأي شيء عاطفياً وجسدياً، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي قد تساعدها لتخطي الساعات القليلة المقبلة. تزايد توترها كثيراً في الأيام الثلاثة الماضية، حتى إن فوكتر تحلى في النهاية عن محاولة جعلها تتبادل الأحاديث معه. لكنه لم يتركها وحدها أبداً إذ كان يتأكد من وجود السيدة غراهام أو بيلندا معها عندما يضطر إلى الخروج من المنزل، وشعرت سكاي بالامتنان لتعاطفه معها بالرغم من أنها لم تقل له ذلك.

كما توقعت، تحول النهار إلى كابوس عندما أحاط الصحافيون بالسيارة بعد أن خرجت من الطريق الخاص وقفز معظمهم إلى سياراتهم ليتمكنوا من اللحاق بهما.



- سكاي...!

- أنا بخير يا فوكنر.

كررت بخشونة وفكاها مطبقان بشدة كي تمنع ارتجافهما: «أنا بخير». ظلت نظراتها مثبتة نحو الأمام بإصرار، إلا أنها لم تكن ترى شيئاً. قال لها فوكنر إن محامي والدها سيزورها في البيت بعد عودتهما كي يقرأ لهما الوصية. لم تكثر سكاي لذلك، إذ إنها تعتبر أن الحب الذي أغدقه عليها والدها قبل أن يموت هو أتمن شيء تركه لها.

- يجب على عمي سيموس أن يكون هنا.

قالت سكاي ما يجول في بالها بصوت عالٍ فبدا خاوياً وغريباً بعد أن حرق الصمت السائد.

ضغط فوكنر شفثيه وأجاب: «يجب عليه ذلك، نعم».

رفعت سكاي عينين متألمتين ونظرت إليه قائلة: «إنه القريب الوحيد الحي لوالدي».

زفر فوكنر الهواء من أنفه بعصبية، وقال: «إنه مثال جيد للمثل القائل: يمكنك اختيار أصدقائك لكنك لا تستطيع اختيار أقاربك». في الواقع، عمها سيموس لم يترك أثراً طيباً في نفس فوكنر عندما زار إيرلندا في نهاية الأسبوع الماضي، وهذا أمر محزن، إذ إن عمها سيموس هو قريبها الوحيد الذي ما زال على قيد الحياة.

ساد الصمت ثانية واستمر كذلك طوال الرحلة، فيما ظلت يد فوكنر ممسكة بيدها وهو يناضل للمرور بين الصحافيين المنتظرين قرب الكنيسة. بقيت يدها في يده أيضاً أثناء مراسم التأيين، وما بعد ذلك.

- متى سينتهي كل شيء يا فوكنر؟

عندما وصلا إلى البيت بعد ساعتين بدت سكاي على وشك الانهيار. تم دفن والدها وفقاً لرغبته قرب والدتها، وهي امرأة لم تعرفها سكاي لكنها المرأة التي بقي والدها على حبها حتى مماته.

- متى سيدعونني وشأنني؟

تبعهما الصحافيون من الكنيسة إلى البيت.

همست بيلندا لأخيها برقة فيما يدها معلقة بذراع زوجها تشارلز: «فوكنر، سوف نخرج أنا وتشارلز إلى الشرفة».

خرجتا تاركين سكاي وفوكنر وحدهما في غرفة الجلوس. ضمها فوكنر بين ذراعيه برقة، فاستراح رأسها على كتفه. قال لها بصوت أجش: «لن يؤذيك أحد، فأنا إلى جانبك يا سكاي».

لكنه لن يكون إلى جانبها دائماً، فعاجلاً أم آجلاً سوف تستلم زمام أمور حياتها بنفسها. هل سيقم أولئك الصحافيون المتعطشون للأخبار رابضين بانتظارها إلى ذلك الحين؟

عندما لاحظ فوكنر صمتها، أخذ نفساً طويلاً وقال: «سكاي، هناك أمور يجب أن...».

جاء صوت بيلندا المتردد: «فوكنر! آسفة لمقاطعتكما، لكن المحامي وصل».

بدت نظرات سكاي حادة، وسبحت عينها بالدموع حين نظرت إلى فوكنر وتوسلته قائلة: «لا أستطيع فعل ذلك الآن... لا يمكنني...».

- بالطبع لا يمكنها تحمل ذلك.

وافقتها بيلندا وهي تدخل إلى الغرفة لتضم سكاي بين ذراعيها. قالت لأخيها بحزم: «على المحامي أن يأتي في وقت آخر. سكاي تحتاج إلى الهدوء والراحة وإلى من يهتم لأمرها».

من الواضح أن ليس هناك الكثير من الأشخاص الذين يهتمون لأمرها، فوالدها ميت وعمها سيموس ما زال في المستشفى. وبالرغم من اعترافها بأن فوكنر وعائلته يتصرفون بلطف معها وتقديرها الكبير لهم، لكن هذا كله سينتهي قريباً. لم تشعر يوماً بمثل تلك الوحدة والضيق.

سأل فوكنر أخته: «هل يمكنك تولي هذا الأمر يا بيلندا؟».

فيما ظهر الاهتمام على وجهه، وتعلقت نظراته القلقة بسكاي وهي تسير مسلوبة الإرادة عبر الغرفة لتحقق عبر زجاج النافذة إلى الخارج من

دون أن ترى شيئاً.

ردت بيلندا بسرعة: «بالطبع! لكن يا فوكنر...».

تنهد فوكنر بعمق، وقال: «أعلم يا ليندي».

لم تكن سكاي واعية لهذا الحوار الغريب بين فوكنر وبيلندا، إذ شعرت كأنها تطوف في عالم آخر. ازداد شعورها هذا عمقاً حين فكرت بحياتها التي أصبحت خاوية. قالت لفوكنر إنها ستبقى إلى أن ينتهي المأتم، وها قد انتهى، فماذا ستفعل؟ إلى أين تذهب؟ إيرلندا هي المكان المنطقي الوحيد. لكن كما قال لها فوكنر، ماذا بقي لها هناك؟ قد يحتاجها عمها سيموس لفترة قصيرة حين يخرج من المستشفى، لكن هذا ليس عذراً كافياً إذ إنه فقط يؤجل الأمر المحتوم. عليها أن تجد عملاً وتفكر بطريقة لإعالة نفسها. وأسوأ ما في الأمر هو أنها حين ترحل لن ترى فوكنر ثانية.

- سكاي!

وقف فوكنر خلفها ووضع يديه على أعلى ذراعيها. ابتلعت سكاي ريقها بصعوبة وهي تحارب رغبتها بالاستدارة والارتقاء بين ذراعيه، فذلك أمر سيسبب الاحراج لكليهما.

قالت له بحنق: «لا يهمني ما يقوله الآخرون، والذي كان رجلاً صالحاً».

- نعم، كان كذلك.

رد عليها فوكنر بثقة، فنظرت إليه بعبوس وسألته: «لماذا تعتقد أنت ذلك بينما يخالفك الآخرون الرأي؟».

هز كتفيه وأجابها بركة: «ربما لأنهم لا يعرفون والدك كما نعرفه نحن».

- آه، فوكنر!

تاوهت بجزن، وكادت تنهار حين شعرت به يحتضنها بركة ويمسك شعر رأسها المستريح على كتفه.

- ستتحسن الأمور يا سكاي.

رفعت إليه عينيها المبللتين بالدموع وسألته: «أحقاً؟».

هز فوكنر رأسه وقال: «هذا ما يجب أن يحصل».

ثم مرر أنفه بركة على حاجبها، وأضاف: «عندما تصلين إلى الحضيض فالطريق الوحيد أمامك هو الصعود».

- أنتعتقد ذلك؟

أكد لها فوكنر بإخلاص قائلاً: «أنا أعلم ذلك. سكاي، أنت ما زلت شابة جميلة وتستحقين الأفضل في هذه الحياة».

إنه هو أفضل شيء يمكن للحياة أن تقدمه لها، لكن سكاي واثقة أنه لن يكون لها يوماً. ابتعدت عنه قليلاً وقد شعرت بالحاجة إلى وضع مسافة بينهما قبل أن تذلل نفسها كلياً.

- أولئك الصحافيون في الخارج... إنهم مثل كلاب الصيد التي تنبح حين تشم رائحة الطريدة. ما مشكلتهم؟

أخذ فوكنر نفساً عميقاً، وقال: «سكاي، هناك بعض الأمور التي تجهلينها...».

قاطعته بضحكة متقطعة وقالت: «فوكنر، عمق الأشياء التي أجهلها يمتد من هنا ليصل إلى...».

- لا أقصد تلك الأمور. سكاي، تعالي لنجلس.

ابتعد عنها قليلاً، وقال: «يجب أن نتحدث، وأعتقد أن من الأفضل أن نجلس».

نظرت إليه سكاي بعبوس، ثم تحركت لتجلس على المقعد الذي أشار إليه قرب الموقد والذي يقابل المقعد الذي جلس هو عليه. وضعت ساقاً فوق أخرى وأرخت يديها على حضن تنورتها. شعرت كأنها تلميذة

مدرسة تنتظر التوبيخ من المدير، لكنها لا تعرف ما هو ذنبها.

- نعم؟

حشته على الكلام حين بدا أنه يواجه مشكلة في ترجمة أفكاره إلى كلمات. إنها المرة الأولى التي ترى فوكنر وقد فقد قدرته على إيجاد

الكلمات المناسبة. نظرت إليه بإمعان، فانتبهت إلى أن الأيام القليلة الماضية لم تكن سهلة بالنسبة إليه أيضاً. لاحظت وجود هالات داكنة تحت عينيه وخطوط صغيرة قرب فمه، وهذا دليل على حالة قلق يعيشها، هي متأكد أنها جديدة عليه.

- يمكنك أن تخبرني يا فوكنر. إن رفضت ذلك سأتحيل أسوأ الأمور. وهل هناك أسوأ مما حدث في الأسبوعين الماضيين؟
- حسناً!

ابتسم ابتسامة خالية من المرح، ثم قال: «سكاي، أنا... أنا أريد منك أن تفكري بموضوع زواجنا».

لم تتحرك سكاي ولم تطرف عينها، بل راحت تحديق به فقط. هذا آخر ما توقعت أن يقوله! هل سألها فوكنر أن تتزوجه؟ يعلم الله أنها حلمت بأن تصبح زوجته طوال السنوات الست الأخيرة، كما تمنّت لو أنه يقع في حبها لكي تعترف له بمشاعرها نحوه. لكن فوكنر لم يقل شيئاً من ذلك. طلب منها أن تفكر بموضوع زواجهما، وهذا أمر مختلف كلياً.

- بحق السماء! قولي شيئاً يا سكاي.

أخذت نفساً متقطعاً وسألت: «لماذا؟».

طرف بعينيه متسائلاً، وقال: «لماذا تقولين شيئاً؟ أم لماذا...؟».

قاطعته بنفاد صبر: «لماذا يجب أن أفكر بموضوع الزواج منك؟».

هي متأكد أنه يعلم تماماً ما الذي تقصده لكنه يحاول تغادي الإجابة. وقف فوكنر على الفور واضعاً يديه في جيبي سرواله، وسألها بجدّة: «ولم لا؟ آه! ربما لست الزوج المناسب لك لعدة أسباب: أنا كبير السن بالنسبة لك، والحادث الذي أصابني منذ ثلاث سنوات حطم إحدى ساقي، لكنني غني ويمكنك الاهتمام بك، و...».

- توقف هنا!

أمرته سكاي بقوة، ووقفت بدورها وهي مقتنعة بوجود شيء خاطئ

وخيف في ما يتعلق بعرض فوكنر للزواج منها. ليس في طلبه أي إعلان للحب، وهذا سبب مهم.

- فوكنر، ماذا يحدث؟ لماذا تطلب الزواج مني؟

رفع حاجبيه الداكنين وقال: «ألا تعتقد أني أطلب منك الزواج لأنك فتاة جميلة و...؟».

قاطعته بقوة قائلة: «كلا! ولا أعتقد أيضاً أنك وقعت في حبي بجنون».

كشر فوكنر وقال: «أعلم أنه كان علي أن أجنو على ركلة واحدة، لكنني فكرت أن الأمر سيصبح محرجاً لكلينا إن لم أتمكن من الوقوف ثانية!».

لم تبتسم سكاي لسخريته، إذ بدت متأكد أنه يماطل في الإجابة عن سؤالها. إنها تخدع نفسها لو أنكرت أنها عندما سمعت كلمة «زواج» تخرج من فم فوكنر قفز قلبها بفرح وأمل، لكنه لم يعطها تلميحاً ولو بسيطاً أنه يطلب الزواج منها لأنه يحبها. إذاً، لماذا عرض عليها الزواج؟ هزت رأسها بنفاد صبر: «هناك أمر يجري هنا يا فوكنر، وأعتقد أنك يجب أن تخبرني عنه».

إنها تشعر طوال الوقت بوجود شيء غريب يتعلق بظهور فوكنر في المستشفى وإقناعها بالقدوم إلى منزله منذ خمسة أيام. أما الأغرب من ذلك فهو ذهابه إلى إيرلندة ليحضر لها ستورم. لكن عرض الزواج الذي قدمه لها فجأة هو أغرب ما قام به حتى الآن.

نظرت سكاي إلى فوكنر وهي تتنفس بغضب وتنتظر جوابه بفارغ الصبر، لكن نظراته تحولت عنها نحو أخته التي وقفت عند الباب بتردد.
- آسفة لمقاطعتكما من جديد. تحدثت إلى المحامي، وسوف نذهب أنا وتشارلز إلى البيت.

ابتسمت لسكاي باعتذار وقالت: «والدة تشارلز تهتم بالولدين اليوم بعد أن أحضرتهما من المدرسة بسيارتها، لكن صحتها ليست جيدة، وأنا

لا أحب أن أتركهما معها لفترة طويلة».

عبرت سكاى الغرفة لتضم بيلندا وتقول بامتنان: «أنا أقدر وجودكما هنا أنت وتشارلز يا بيلندا. كنتما رائعين معي في الأيام الأخيرة».

تعرفت سكاى على تشارلز مساء البارحة حين جاء مع بيلندا لتناول العشاء في منزل فوكنر.

أجابتها بيلندا بحرارة: «سرتي أن أتمكن من تقديم المساعدة. سنتصل بك هذا المساء يا فوكنر».

اقتربت من أخيها وطبعت قبلة رقيقة على خده، ثم غادرت.

ساد صمت مشحون بالتوتر عندما ذهبت بيلندا، وارتفعت درجة التوتر بين سكاى وفوكنر حتى لم تعد سكاى تحتمل أكثر، فقالت: «فوكنر! هل تريد أن تخبرني الآن ما السبب الذي دفعك لتعرض علي هذا النوع من زواج المصلحة؟».

التمعت عيناها ببريق يكشف غضبها الداخلي. التوى فم فوكنر بعصبية وأجابها: «صدقيني يا سكاى! أنا لا اعتبره زواج مصلحة».

بالطبع لا. فبعد زواجه الذي انتهى بكارثة هو لا يعتقد ذلك. في الواقع، سكاى متأكدة أن فكرة الزواج ثانية لم تكن من ضمن حسابات فوكنر قبل الآن.

قالت له بجزم: «أنت تهرب من الإجابة».

- بالطبع أتهرب!

انفجر في وجهها صارخاً وجسده مشدود بالغضب: «في الواقع، من يرى طريقة تصرفك سيظن أنني أعرض عليك أن تكوني عشيقتي لا زوجتي!».

ارسلت عيناها شرارات غضب زرقاء، وقالت: «لكنك مع ذلك تعرض علي زواج مصلحة بارداً!».

- زواج مصلحة بارد؟

ردد كلامها بغضب وهو يقطع المسافة بينهما في خطوتين ليجذبها من

ذراعيها ويعانقها بقوة.

شعرت سكاى كأن السنوات الست الماضية لم تمر أبداً، بل كأن المشهد الذي حدث حين عانقها للمرة الأولى يتكرر اليوم. شعرت بكل عظمة في جسدها تذوب وكل جزء من لحمها يغلي على نار حامية، فيما راح الدم يتدفق بحرارة في عروقها. رفعت يديها إلى كتفيه ثم إلى شعره وتجاوبت معه بشوق عارم. إنها تحبه، وتريده بكل كيائها. اختفى كل ما حولها، ولم تعد تشعر بسوى فوكنر وضربات قلبيهما المتناغمة. سمعت صوته يغمغم: «بارد...؟ لا أعتقد ذلك».

بدت كلماته أشبه بقطع من الثلج تنحدر على ظهرها، فابتعدت عنه بسرعة لتتنظر إليه وعيناها بقعتان داكنتان في وجه شاحب.

ظل فوكنر ممسكاً بأعلى ذراعيها وهو ينظر إليها في حين راح عصب صغير ينبض في خده. سألتها بخشونة: «هل الزواج مني بهذا السوء؟ أهو كذلك؟ يمكنك العيش بسعادة هنا كزوجتي. لن تكون لديك أعباء مالية، ستكون لديك الحرية لتفعل ما تريدين وتذهبي حيث تشائين وترى من ترغيبين برؤيته. وهناك مساحة كافية هنا لتمتطي ستورم».

ذلك ليس شيئاً على الإطلاق! في الواقع، لم تتخيل سكاى إمكانية وجود شيء أفضل في حياتها، لكنها لا تريده بهذه الطريقة. ابتعدت عنه وهي تتنفس بصعوبة لشدة غضبها، وقالت: «لكنك حتى الآن لم تقل لي لماذا تفعل ذلك يا فوكنر».

رفع فوكنر ذراعيه عالياً، وابتعد عنها بعصبية ثم قال: «لأسباب التي ذكرتها للتو. لأنني أريد أن أهتم بك وأحبك».

أشارت إلى الخارج بيدها، وسألته: «ما الذي يجعلك تشعر أن عليك الزواج مني لتحميني منه؟».

وقف فوكنر فجأة دون حراك، وعاد ذلك النبض يتحرك في فكه المتصلب هو يقول بخشونة: «لا شيء. ما من شيء لك هناك يا سكاى.

لا عمل، لا منزل وبالطبع ما من عم مهتم لأمرك».

تجمدت سكاى في مكانها ، وهي تنظر إليه عابسة لشدة حيرتها . ماذا يعني بكلامه؟ بعد انهيار الشركة بات عليها إيجاد عمل لتعيل نفسها ، لكن منزلها . . . ذلك البيت الذي يملكه آل أوهارا منذ أجيال عديدة ما زال هناك . أما عمها سيموس فسوف يخرج من المستشفى في نهاية هذا الأسبوع . مرر فوكنر يده المرتجفة في شعره الكثيف ، وقال : « انتهى كل شيء يا سكاى . كل ما عمل أجدادك والذك من أجله طوال تلك السنوات اختفى . قام أحدهم باختلاس الأموال وضاع كل شيء » .

لمعت عينها وهي تمز رأسها في رفض قاطع : « قلت لك إن والدي لم يفعل تلك الأشياء البشعة التي اتهموه بها » .

- ليس والذك يا سكاى . أؤكد لك أنني مؤمن ببراءة كونور مما اتهم به . كل ما في الأمر . . .

تنهد بعمق قبل أن يضيف : « كل الأدلة تؤكد أن الأمر ليس مجرد تكهنات فقط » .

- ماذا . . . ؟

- سكاى ، هناك سبب وجيه منع عمك من حضور المآتم اليوم .

عبست سكاى بحيرة ، وقالت : « قلت لي إنه في المستشفى لأن رجله مكسورة » .

- لو تمكنت من وضع يدي عليه لانتهى برقبة مكسورة! لكن لسوء الحظ ، قضيته الآن في يد الشرطة ، وهذا يعني أنني لا أستطيع الإمساك به .

لم تستوعب سكاى الأمر فسألته : « الشرطة ؟ » .

هز فوكنر رأسه إيجاباً ، وقال : « سكاى ! اتهم عمك بشكل رسمي في مطلع هذا الأسبوع بعد أن اعترف للشرطة أنه هو من اختلس الأموال من شركة أوهارا مسبباً إفلاس الشركة . بسببه انهارت الشركة وثار سخط المساهمين ودمرت سمعة والذك وحياته » .

حدقت به سكاى فاغرة فاها . بدت غير قادرة على تحمل فداحة ما أخبرها به فوكنر . هل هذا صحيح؟ إنه غير معقول!

٧ - أريد الرحيل!

رفضت سكاى سماع ما يقوله ، فوضعت يديها على أذنيها وتراجعت مبتعدة عنه بذهول . تلك الأشياء التي قالها عن عمها لا يمكن أن تكون حقيقية . ذلك غير معقول!

تقدم فوكنر خطوة بانجهاها ، لكنه توقف حين تراجعت مبتعدة عنه . قال لها بنبرة ملؤها الأسى : « سكاى ! ليس هناك طريقة سهلة لقول أشياء كهذه . أخفيت عنك الحقيقة طيلة الأسبوع الماضي ، بذلت قصارى جهدي كي لا تدخل أي صحيفة إلى غرفتك في المستشفى أو تتلقى أي مخابرة هاتفية بهذا الخصوص . . . » .

قاطعت سكاى بدهشة : « أنت فعلت ذلك ؟ » .

لم تكن لديها فكرة أو شكوك أن هذا ما يحصل خفية عنها .

- نعم . فعلت الأمر ذاته عندما وصلت إلى هنا . وسأفعل كل تلك الأمور ثانية لو اضطررت إلى ذلك . لكن عاجلاً أم آجلاً سوف يزل لسان أحدهم ويقول شيئاً عن الموضوع ، أو يترك صحيفة في مكان ترينه ، أو ربما تشاهدين التلفزيون . . .

سألته بحيرة : « هل السيدة غراهام وويليندا متواطئتان في هذا الأمر أيضاً ؟ » .

أدركت الآن ما كان موضوع الحوار بين فوكنر وويليندا في المكتب منذ بضعة أيام .

- أنا طلبت منهما ذلك . لم أشأ أن تعرفي الأمر بطريقة عشوائية ، وفي الوقت نفسه أنا لا أستطيع مراقبة الجميع . هناك مخاطرة أخرى وهي أنك

عندما تعرفين الحقيقة فسوف . . .

توقف عن الكلام فجأة وهو يهز رأسه باحباط: «سوف تكرهيني لأنني لم أخبرك منذ البداية».

حدقت سكاي به بعينين واسعتين حائرتين غير مصدقة أنه تكبد ذلك العناء كله ليحميها من الحقيقة. لم تعد تعرف كيف تشعر تجاهه. في الوقت ذاته، بدا فوكنر متأكداً من صحة ما يقوله، غير أنها لم تصدق أن عمها سيموس فعل تلك الأشياء التي يتهمه بها فوكنر.

عادت سكاي برفقة والدها إلى إيرلندا منذ أكثر من ثلاث وعشرين سنة ليقبلا مع جدها وعمها سيموس في منزل العائلة، فأصبحت سكاي الطفلة المدللة للرجال الثلاثة. والآن، لا تستطيع أن تقتنع أن عمها سيموس الذي كان بمثابة والد ثان لها متهم بالاختلاس والاحتيال، تماماً كما لم تصدق أن والدها كان كذلك. جلست بثناقل على أقرب كرسي كي لا تقع أرضاً. تمتمت وهي تهز رأسها برفض: «فوكنر، لا يمكن أن تكون تلك الأشياء التي قلتها عن عمي سيموس صحيحة. لاشك أن هناك خطأ ما!».

بدا فوكنر حزيناً. وضع يديه في جيبي سرواله وقال: «سكاي، لم يستطع عمك أن يعيش بضمير معذب بعد موت والدك المفاجئ، فاتصل بالشرطة واعترف لهم بما فعل».

صرخت سكاي بلوعة وهي تطرف عينيها اللتين غشيتهما الدموع. قالت: «لكن لماذا؟ لماذا فعل تلك الأشياء البغيضة؟».

أخذ فوكنر نفساً متقطعاً، وقال بهدوء: «طرحت عليه هذا السؤال عندما رأيتك الأسبوع الماضي. إنه الأخ الأكبر، أليس كذلك؟».

- نعم. نعم، هذا صحيح. لكنه لم يكن مهتماً بإدارة الشركة، لذلك قام جدي . . . فوكنر! هل تريد أن تقول إن عمي سيموس فعل ذلك لأن جدي ترك إدارة شركة أوهارا لأبي عندما توفي منذ عشر سنوات؟

- في الأساس، نعم. لكن لو نظرنا إلى الأمر من منظار أوسع، لا.

هزت رأسها وقالت: «أنا لا أفهم».

تنهد فوكنر بعمق وقال: «أنا لست متفاجئاً. أنا كذلك لم أفهم الأمر في البداية. يبدو أن سيموس كان راضياً في البداية وسعيداً بقبض الشيك الشهري الذي يدفعه له والدك دون أن يقوم بأي عمل. لكن المشكلة بدأت حين تزوج».

بدا نور صغير من الفهم يتغلغل داخل الظلام الذي لف سكاي. لم تكن العمة شاننا امرأة يسهل العيش معها، إذ أحببت حياة الترف والبلذخ من دون أن تقوم بأي مجهود للحصول على المال.

تابع فوكنر كلامه قائلاً: «سيموس وشاننا عاشا حياة بذخ تفوق مدخولهما الشهري عندما كانا في دبلن. يبدو أن شاننا ظنت أن سيموس هو مالك شركة أوهارا بما أنه الأخ الأكبر، ولم تسر أبداً حين علمت أن الأمور لا تجري كما تشتتهي، فبدأت تضايق سيموس وتتهمه بالخضوع لأخيه الأصغر وأشياء كهذه. . . بدا لسيموس أن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو محاولة الاستفادة قدر الإمكان من شركة أوهارا».

طرفت سكاي بعينيها وسألته: «لكن . . . لكن كيف استطاع فعل ذلك دون علم أبي؟».

أجابها بنعومة: «كان والدك يعلم يا سكاي».

نظرت سكاي إليه بدهشة. هل يقول فوكنر إن والدها كان يعلم طوال الوقت من هو المسؤول عن إفلاس الشركة؟ هذا غير معقول!

أكد لها فوكنر بجزم قائلاً: «كان كونور يعلم يا سكاي، وكان علي أن أظن . . .».

هز رأسه كأنه يشعر بندم عميق، وأضاف: «منذ عدة شهور لاحظت أن كونور يخفي شيئاً ما أو يحمي أحداً ما، لكنني لم أعلم من هو حتى نهاية الأسبوع الماضي. كان والدك يعرف الحقيقة يا سكاي. أنا واثق من ذلك».

تذكرت سكاي عودة عمها المستعجلة إلى منزل العائلة في الريف منذ

سنتين، وعدم رضى العممة شاناً عن هذا الإجراء، وتصميم عمها سيموس على البقاء هناك بالرغم من أنه لم يكن مرتاحاً.

هل طلب منه والدها ذلك بعد أن اكتشف ما يفعله العم سيموس؟ الأمور التي أخبرها بها فوكنر الآن أوضحت لسكاي الأسباب الحقيقية لانتقال عمها من دبلن. ثار غضب العم سيموس حين تركته العممة شاناً عائداً إلى دبلن بعد أن ملّت حياة الريف، فأنجبه إلى الكحول أكثر فأكثر، ثم تحولت المشاكل بينه وبين أخيه من مشادات كلامية إلى مواجهات جسدية.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تشعر بالاعياء بعد أن علمت سبب غضب عمها. أكدت لفوكنر بثقة: «والدي عرف الحقيقة فعلاً. كان يعرفها طوال الوقت».

تأوهت بجزن، ثم دفنت وجهها بين يديها وهي تدرك كم كانت غيبة.
- سكاي...!

رفعت رأسها وعيناها تلمعان بتحذير لم يستطع فوكنر تجاهله. توقف بعيداً عنها بضعة إنشات فقط. قالت سكاي بقسوة وبرودة: «لا تلمسني، ولا تقرب مني. أنا أفهم سبب صمت أبي بالرغم من كل شيء». العم سيموس أخوه. لكن أنت... كيف تجرؤ على إخفاء الأمر عني طوال أسبوع؟»

بعد أن أدركت طبيعة تصرفاته طوال الأسبوعين الماضيين. تابعت كلامها وعيناها تلمعان بجدة: «بأي حق تجرؤ على فعل ما فعلته والتطاول إلى ذلك الحد كي تبقيني جاهلة للحقيقة؟»

عبس فوكنر وقال: «سكاي! أنت الآن غاضبة، وهذا ليس الوقت المثالي لك لإصدار الأحكام».

وقفت تتحدها وخداها يتوهجان غضباً، فقالت: «آه! أنت على حق في ما يتعلق بغضبي. أما بالنسبة للأحكام، فسأقرر ذلك بنفسي. شكراً جزيلاً لك».

ثم ضحكت بسخرية وقالت: «منذ فترة قصيرة كنت أشعر بالحيرة. لم أكن أعلم ما الذي سأفعله وإلى أين سأذهب، ثم سببت لي حيرة أكبر عندما طلبت مني الزواج. ما زلت حائرة لا أعرف إلى أين سأذهب وماذا سأفعل، لكنني متأكدة من أمر واحد: لن أتزوج منك حتى لو كنت...»

أكمل فوكنر كلامها بخشونة وسخرية: «آخر رجل على وجه الأرض؟ هذا ليس مبتكراً، سكاي».

لمعت عيناها الزرقاوان، وقالت له ويدها مشدودتان في قبضتين على جانبيها: «هل أستتج من كلامك أن المنزل والأمل في إيرلندا ستباع لتسديد أموال المساهمين الذين خدعهم عمي؟»

- نعم.

هزت سكاي رأسها بعدم تصديق وقالت: «أنت أكثر الرجال الذين عرفتهم غروراً. كيف تجرؤ على طلب الزواج مني وكأني مشرّدة تحتاج إلى الإحسان؟»

- هذا ليس السبب الذي جعلني أسألك الزواج مني، يا سكاي. قاطعته دون لباقة، ولم تأبه للغضب الذي بدأ يعتم تعابير وجهه: «بالطبع هو كذلك. ماذا تظنني يا فوكنر؟ هل اعتقدت أنني سأجلس هنا بخنوع وأصغي إلى ما ستقوله ثم أقبل الزواج منك بامتنان؟ لو ظننت ذلك...»

قاطعها فوكنر بسخرية قائلاً: «لم أتوقع أن تكون ردة فعلك الخنوع». في هذه اللحظة أرادت سكاي أن تصرخ أو تضرب شيئاً ما أو أحداً ما، لكنها لن تقوم بأي تصرف طائش. لن تعطي فوكنر إحساساً بالرضى.

- إذآ، أنت لست خائب الأمل. أليس كذلك؟ سأصعد كي أحزم أغراضي. في ظل هذه الظروف، هل أطلب الكثير لو سألتك أن تتصل بسيارة أجرة لتقلني؟

التوى فمه بالسخرية، وقال: «هل أعتبر ردك رفضاً واضحاً لعرض الزواج؟».

فتحت فمها لترد عليه باحتقار، لكنها فضلت السكوت والخروج من البيت قبل أن تفقد قدرتها على التفكير السليم، وقبل أن تقول أشياء قد تندم عليها في المستقبل وتتمنى لو أنها لم تقلها أبداً.

قالت له بإعياء وهي تتحرك بتناقل نحو الباب: «فقط اطلب التاكسي من فضلك يا فوكنر».

عبس فوكنر وقال: «لكن إلى أين ستذهين؟».

دارت على عقبها بجمدة، وقالت: «صدق أو لا تصدق يا فوكنر. بالرغم من أنك تظن العكس، لدي أصدقاء غيرك! في الواقع، أنت آخر اسم على لائحة قد أطلب...».

- لا تزيد الإهانة إلى الجرح يا سكاى!

حذرهما فوكنر بجمدة، فيما عاد ذلك العصب ينبض في فكه المشدود.

- مهما كان ما تظنينه بشأنى الآن، أؤكد لك أنني قمت به بدافع الصداقة.

هزت سكاى رأسها، وقالت: «الأصدقاء لا يكذبون على بعضهم».

- لم أكذب عليك أبداً يا سكاى. ربما خبات عنك الحقيقة، لكنني لم أكذب.

هزت رأسها، وقالت باشمزاز: «هذا تلاعب على الكلام يا فوكنر، وأنت تعلم ذلك!».

أطلق فوكنر تهيدة عميقة، وقال: «ربما. لكن إذا رحلت الآن، ماذا ستفعلين بستورم؟».

في خضم سرعتها للابتعاد عن فوكنر، نسيت سكاى كل شيء عن الحصان. التوى فمها وقالت: «بما أنك قمت بإحضاره إلى هنا، أقترح أن تستمر بالعناية به إلى أن أقوم بترتيبات بديلة».

مع العلم أنها لا تعرف ماذا أو متى ستكون هذه الترتيبات. ما من

مكان تذهب إليه عندما تخرج من هنا، لكنها لا تستطيع البقاء هنا أكثر والعيش على ما يقدمه لها فوكنر من إحسان.

هز فوكنر رأسه وقال باقتضاب: «سأوصلك حيث تريدون».

ردت عليه سكاى بجمدة وهي ما زالت غاضبة: «شكراً، لكن لا أشكرك».

هي تعلم أنها ستظهر بعد قليل ردة فعلها تجاه كل ما أخبرها به فوكنر، وأنها ستتهار. وهي لا تريد أن تنهار في أي مكان قريب منه.

- سكاى...!

- آه! لا تقلق يا فوكنر. سأتصل أنا بسيارة الأجرة أو أذهب سيراً على القدمين. في كلتا الحالتين سأخرج من هنا!

- لا تزعجي نفسك. سأتصل بسيارة الأجرة اللعينة!

قال ذلك بغضب وقد اسودت ملامحه، وأصبحت عيناه الزرقاوان جليديتين باردتين ويداه مشدودتين في قبضتين على جانبيه، كأنه يضبط نفسه كي لا يدق عنقها.

خرجت سكاى من الغرفة من دون أن تضيف كلمة أخرى.

صفقت باب غرفة النوم وراءها، وبدأت تتحرك جيئة وذهاباً لترمي أغراضها القليلة في الحقيبة بشكل عشوائي من دون أن تفكر بشيء. سيكون لديها متسع من الوقت لذلك ما إن تخرج من هنا. عليها أن تركز على الخروج من هنا، لتبتعد عن فوكنر قبل أن تنهار. وعندما تفعل ذلك...

سمعت صوت سيارة تدخل إلى باحة المنزل. اقتربت من النافذة، وسرعان ما شعرت بجفاف في حلقها حين رأت فوكنر يقترب من سيارة الأجرة ليتحدث مع السائق باقتضاب. اعتصر الألم قلبها عندما لاحظت أن عرجه أصبح واضحاً الآن أكثر من العادة. ابتعدت عن النافذة وهي مصممة على عدم التأثر بالتعب البادي عليه. بما أنها رفضت شفقتها، فمن المؤكد أنه لن يرحب بشفتها.

كان فوكنر ينتظر في الرواق حين نزلت سكاى إلى الطابق السفلي . لاحظت أنه ما زال مزعجاً بالرغم من أن غضبه قد خمد . نظر إليها بعينين تملوان من أي تعابير ، وقال بصوت أجش : «أتمنى أن تعيدي التفكير بالأمر يا سكاى» .

نظرت إليه بسخرية وسألته : «أي أمر؟ عرض الزواج المهين أم الرحيل؟» .

اشتد ضغط شفتيه ، وقال بصوت خشن : «الرحيل ، بالطبع» .

ضحكت سكاى ببرودة ، وقالت : «لانية لي في تغيير رأيي بشأن أي شيء . في الواقع ، لا أطيق صبراً للذهاب بعيداً . سأبقى على اتصال بك للاطمئنان على ستورم» .

عبت سكاى فجأة وطغى على نظراتها الألم حين تذكرت أمراً ما . سألته : «هل يجب أن يباع ستورم أيضاً؟» .

ارتفع رأسه بتحدٍ وقال : «ستورم لك» .

هذا يعني أن فوكنر قام بما يلزم ليبقى الحصان لها . ربما اشتراه بنفسه . لم تعرف سكاى كيف أو متى لكنها سوف ترد له كل قرش دفعه لشراء ستورم لها . أمالت رأسها قليلاً ، وقالت : «شكراً لك» .

التوى فم فوكنر بشفقة ، وقال : «لاشك أن هذا أملك!» .

- لا يمكنك تصور الأمر .

انحنى لتلتقط حقيبتها ، فقال لها : «أعطيت التعليمات للسائق كي يخرج من المدخل الخلفي . . .» .

ردت عليه بجفاء وهي تقف باستقامة : «إذا علي أن أطلب منه العكس» .

أجابها فوكنر بنفاد صبر : «لكن الصحفيين ما زالوا عند المدخل الأمامي» .

اندفعت تقول بتصميم : «ليس لدي ما أخفيه» .

أخذ فوكنر نفساً عميقاً ، وقال : «إذا احتجت إلي يوماً . . .» .

- لن أفعل .

سوف تتأكد أنها لن تحتاج إلى فوكنر بعد اليوم . لكنها تحبه ، وهذا واقع عليها التعايش معه .

عاشت مع هذه الفكرة ست سنوات ، فما الفرق لو عاشت بقية حياتها كذلك؟

مد يده ليأخذ حقيبتها ، لكنها ابتعدت عنه بجدة وقالت : «يمكنني تدبير الأمر . إلى اللقاء يا فوكنر» .

مشى باتجاه الباب وأضافت : «سأعلمك لاحقاً بما سأفعله بالنسبة لستورم» .

تهدد فوكنر بانتهزام ، وقال : «ليكن ما تريد» .

آخر ما رآته سكاى عبر مرآة سيارة الأجرة وهي تبعد في الباحة صورة فوكنر وهو يقف وحيداً خارج المنزل . بدا طويلاً ووحيداً ، ووجهه محدد بخطوط داكنة وهو يراقب السيارة تبعد ببطء .



٨ - ابقيه بعيداً!

- اسمعيني حتى النهاية يا سكاى، قبل أن تغلقى الباب في وجهي!
فتحت سكاى باب غرفتها في الفندق لتجد بيلندا تشابمان واقفة في
الرواق، وهذا آخر ما توقعته.
لم تبتعد سكاى بسيارة الأجرة كثيراً، بل ذهبت إلى البلدة وأقامت في
غرفة في الفندق هناك، وهو فندق رآته حين ذهبت للتبضع مع فوكرز. لا
يهم إلى أين تذهب في الوقت الحالي، كما أن المكان هنا جيد للتفكير
بالمستقبل. ثم إنها لا تملك الكثير من المال لتبذره على وسائل الراحة.
ضاق فم سكاى حين رأت المرأة الأخرى، وقالت: «إذا كان فوكرز
هو من أرسلك...»
- لم يرسلني. في الواقع، آخر تعليماته لي كانت أن أبتعد عنك.
- لكن...؟
رفعت سكاى حاجبيها باستفهام، فهزت بيلندا كتفيها وقالت: «أنا
لا أنصاع لما يقال لي».
ابتسمت سكاى لها، وفكرت أنهما متشابهتان، كما إنها تحب بيلندا:
«ادخلي».
تراجعت سكاى إلى الخلف، فيما قالت بيلندا: «شكراً».
هزت سكاى رأسها وهي ما زالت تنظر إلى بيلندا بترقب.
- كيف علمت أنني مقيمة هنا؟
- آه... حسناً! يمكنني القول إنها بلدة صغيرة، أو إن الخادمة التي
تعمل لدي تعمل هنا أيضاً، وإنها رأتك وعرفتني وأخبرتني، أو...»

- الحقيقة تكفي يا بيلندا!

قالت لها سكاى ذلك بنبرة جافة، ثم ابتعدت لتملأ الإبريق وتعد
فنجانين من القهوة.
- طلب فوكرز من سائق سيارة الأجرة أن يعلمه بمكانك. آه...!
أعرف كيف سيبدو ذلك يا سكاى.
سارعت بيلندا لقول ذلك حين رأت وجه سكاى يعبق بالغضب وهي
تستدير إليها.
- إنه يبدو مثل فوكرز.
تذكرت سكاى أنها رآته البارحة من النافذة يتحدث إلى السائق في
الباحة.
- هذا صحيح! لكنه مهمت لأمرك بصدق يا سكاى...
- أرجو ألا تعتبري كلامي إهانة يا بيلندا، لكنني سأشعر أنني بحال
أفضل إذا لم أسمع شيئاً عن أخيك المتباهي الآن.
تهددت بيلندا وقالت: «أفهم ذلك. لقد حذرتك...»
- سمعتك. لم أتعمد استراق السمع، لكنني لم أستطع منع نفسي من
سماع حديثك مع فوكرز يوم ذهب الطفلان لشرب الشاي. هل تريدان
قهوتك مع سكر؟
هزت بيلندا رأسها، وقالت: «أنا أتبع حمية. أفعل ذلك منذ أن ولد
الطفلان. في الحقيقة، أنا هنا من أجلهما. حسناً! ليس فقط من أجل
الطفلين بالطبع، لكن...»
شجعته سكاى وهي تجلس على الكرسي المقابل: «بيلندا، لم لا
تقولين ما عندك؟»
- عيد ميلاد التوأمين غداً.
- آه! تذكرت.
هزت بيلندا رأسها وقالت: «حسناً! شعرا بخيبة الأمل لأننا لم
نصطحبهما معنا عندما ذهبنا لتناول العشاء معك وفوكرز مساء الخميس،

وللتعويض عليهما في ذلك الوقت، قلت لهما إنك ستأتين يوم عيد ميلادهما لحضور حفل الشواء. اعتقدت في ذلك الوقت أنك ستكونين معنا. إنهما غاضبان من الخال فورك لأنه سمح لك بالرحيل قبل حضور حفلتهما».

- لم أتصور أنه يجدر بي أن أطلب منه السماح لي بفعل أي شيء.

لكنها فكرت أن فوكنر ليس معتاداً على إغضاب التوأمين بل على حبهما.

- حسناً! حاولت أن أقول لهما ذلك، لكن الأطفال لا يفهمون هذه الأشياء، لاسيما حين يكونون في السادسة من العمر.

أمضت سكاى أربعاً وعشرين ساعة في هذا الفندق وهي تحاول التأقلم مع ظروف حياتها المتغيرة. أول ما قامت به هو التحدث إلى عمها في إيرلندا وتأكيد حبها ودعمها له، وهذا أمر كانت تعرف أن والدها يريده. رفض طلبها الذهاب إليه في إيرلندا والبقاء معه، لكنها وعدته أنها سوف تعود إلى إيرلندا عندما يجين موعد محاكمته. الأمر الثاني الذي قامت به سكاى هو التأكد من كمية المال المتبقية لديها فحين كانت في المستشفى تسلمت أغراض والدها الشخصية، ووجدت في محفظته خمس مئة جنيه فقط. الأمر الثالث الذي فعلته وهي تعلم أن خمس مئة جنيه لا تدوم إلى الأبد، هو التفكير بإيجاد عمل، بعد الأخذ بعين الاعتبار مؤهلاتها الوظيفية.

عملت سكاى مساعدة شخصية لوالدها منذ أن بلغت الثامنة عشرة من عمرها. عملت في شركة أوهارا وفي مجال الاسطبلات التي يديرها والدها في أنحاء البلاد، لكنها قررت أن أحداً لن يجعلها مساعدته الشخصية بعد فضيحة عمها سيموس وأن حظها قد يكون أوفر في إيجاد عمل ضمن مجال تربية الخيول. وأي مكان أفضل من هذه المنطقة لإيجاد عمل في هذا المجال؟ هنا يقع أهم مكان لسباق الخيول في البلاد، حيث تضع عشرات الاسطبلات عناوينها في دليل الهاتف. في الواقع، اتصلت

سكاى باثنتين من ثلاثة من مدراء هذه الاسطبلات وستذهب غداً لمقابلتهم. ثم أن العمل في الاسطبل والعيش فيه سيعطيها فرصة لإحضار ستورم وإبقائه معها. لكن العائق الوحيد أمامها هو بقاؤها في البلدة نفسها التي يعيش فيها فوكنر، إلا أنها قررت أن تلك ليست مشكلة فقد كانت أكثر من واضحة مع فوكنر حين أخبرته أنها لا تريد رؤيته ثانية. قبل زيارة بيلندا، قررت أن فوكنر يجب ألا يعرف أنها ما زالت تقيم في الجوار ولا داعي للزيارات الاجتماعية، لكن زيارة بيلندا برهنت لها العكس، إذ تبين أن الهدف منها هو طلب ذلك بالتحديد.

- سكاى، أعلم أنني أطلب منك الكثير، لكن ماذا لو وعدتك أنني سأبذل قصارى جهدي لإبقائك بعيدة عن فوكنر؟ نظرت سكاى إليها باشفاق وقالت: «وأي فرصة لديك إذا قرر فوكنر العكس؟».

حسناً! بعد الطريقة التي افترقا بها البارحة تشك سكاى بذلك، كما تشك أنه أفضى إلى أخته خبر عرضه الزواج منها ورفضها له. ابتسمت بيلندا فجأة، وقالت: «سأكلفه بمهمة شواء اللحم مع تشارلز، وهذا سيبقيه مشغولاً».

أول فكرة خطرت ببال سكاى هي أنه لا يجدر بفوكنر البقاء واقفاً على رجله المصابة لفترة طويلة، ثم لامت نفسها على هذا التفكير إذ لم يعد يهمها ما يفعله في حياته.

- سيخيب أمل الطفلين إذا لم تأتي يا سكاى.

قالت بيلندا ذلك مشجعة، فأطلقت سكاى ضحكة وقالت: «هل تنفع هذه الحجة دائماً؟».

- في العادة، نعم.

طوال أسبوعين شعرت سكاى كأن زمام الأمور أفلت من يدها، لكنها أحسّت في الأربع والعشرين ساعة الماضية أنها استعادت قدرتها على التحكم بحياتها ثانية. لن تدع فوكنر أو أي شخص آخر يسلبها ذلك من

جديد. لكن، أهي مستعدة لرؤية فوكنر بهذه السرعة بعد أن قالت له ما قالته حول فكرته عن مساعدتها؟

الجواب هو نعم. أعطتها الاربع والعشرون ساعة الماضية ثقة بنفسها، لاسيما إذا نجحت في الحصول على عمل غداً، لكنها ازدادت نضجاً أيضاً خلال الأسبوعين الماضيين، وهذا النضج يعني أنها أكثر من جاهزة للقاء فوكنر غداً في حفلة عيد ميلاد ولدي أخته.

تنهدت سكاي وقالت موافقة: «حسناً! لكن لو حاول فوكنر إثارة المشاكل...»

- لن يفعل...

أكدت لها بيلندا بسرعة وهي تقف كي تغادر من دون أن تستطيع إخفاء ابتسامة النصر عن شفيتها بعد أن حققت غايتها من هذه الزيارة. عندما وصلت إلى الباب أضافت: «بالمناسبة، اللباس غير رسمي».

معظم الملابس التي أحضرتها سكاي معها في رحلة العمل مع أبيها هي ملابس غير رسمية باستثناء بذلتين للعمل. حسناً! إذا كانت ستعمل في إسطنبول، فكل ما تحتاجه هو الثياب القديمة. هذا إذا...

- أنت آخر شخص توقعت رؤيته هنا اليوم!

كم هو مجدٍ وعد بيلندا! لم يمضِ على وصول سكاي سوى خمس دقائق، وأول شخص اقترب منها وراح يتكلم معها هو فوكنر.

تصلبت سكاي، وأخذت وقتها قبل أن تستدير لتواجهه. ابتسمت لجيمي شاكرة إياه على كوب العصير بينما هو وليسا ينتقلان بحماسة بين الضيوف حاملين صينيتين عليهما أكواب عصير.

استدارت نحو فوكنر ببطء فوجدته يحمل صينية عليها بعض أنواع المقبلات. إذاً، لم يبدأ عمله في شواء اللحم بعد، ويبدو من ملاحظته عندما رآها أن بيلندا لم تخبره أنها أقنعتها بالحضور إلى هنا اليوم. أجابته سكاي ببرودة: «هذا ما أملته أيضاً».

التوى فمه في شبه ابتسامة، وقال: «أسف لتخيب أملك». تابعت سكاي النظر إليه ببرودة، وقالت: «أنت لست أسفاً أبداً يا فوكنر».

- كلا.

اعترف بصراحة، فيما نظراته الفاحصة تحديق في وجهها. سألتها: «هل أنت بخير؟»

- لم لا أكون كذلك؟

- صحف البارحة لم تكن... لطيفة.

هزت سكاي كتفها بلا مبالاة، وقالت: «صممت على عدم قراءة الصحف».

في الواقع، قرأت سكاي ما كتب حول مآثم والدها في الصحف البارحة، ورأت صورتها البشعة وهي تغادر الكنيسة. سألتها: «هل ما زالوا يخيمون خارج منزلك؟»
- هناك واحد أو اثنان.

هزت سكاي رأسها وهي تعلم جيداً أنها بعد يوم أو يومين ستصبح خيراً قديماً. ربما عندها سيتمكن الجميع من متابعة حياتهم، أما هي فتنوي متابعة حياتها بسلام.

- أسفة بشأن ذلك.

- هذا لا يهم. سكاي...

- فوكنر، حان الوقت لتذهب وتساعد تشارلز في الشواء. جاء صوت بيلندا المنقذة التي أضافت: «ثم إنك لست جيداً في تقديم المقبلات».

أخذت الصينية من يديه، فابتسم وقال: «هذا ليس ما تدرت عليه».
- إذاً، عليّ أن أرى على ماذا تدرت بالضبط يا فوكنر. لم لا تجرب براعتك في الشواء؟

نظر فوكنر إلى أخته بحيرة، وقال: «لماذا أشعر أنها مؤامرة نسائية؟»

- ربما لأنكم أنتم الرجال تفعلون ذلك دائماً.

هز فوكنر رأسه، وقال: «كان علي أن أحذر تشارلز قبل أن يتزوج بك».

أجابته بيلندا دون ندم: «أنا حذرتك، لكنه قال إنه مستعد للمخاطرة».

نظر فوكنر إلى حيث يقف صهره ضاحكاً مع التوأمين وهم يحضرون الطعام الذي يحتاجونه لإطعام حوالي خمسين شخصاً حضروا من أجل حفلة عيد ميلاد التوأمين، إذ تمت دعوة الأهل والأطفال معاً.

تمتم فوكنر بإشفاق: «يبدو في حال لا بأس بها».

استمعت سكاى إلى هذا الحوار بين الأخ وأخته بانبهار، إذ لم يسبق لها أن تحدثت مع أخ أو أخت، فهي طفلة وحيدة ترعرعت بين ثلاثة رجال. لكن الرجل الذي تستمتع بسماع صوته الآن هو الذي عليها البقاء بعيدة عنه إذا أرادت الاستمرار في الحياة للأسابيع القليلة القادمة. إنه الرجل الذي أحبه!

قالت بيلندا لأخيها بتحد: «عليك أن تجرب ذلك بنفسك يا فوكنر».

انطفأ المرح من عينيه، وبان عليه الجذ حين قال: «جريت ذلك في الماضي، وانتهى بكارثة. أتذكرين؟ سأكون مجنوناً لو فكرت في خوض التجربة ثانية».

قال ذلك بنبرة صوت قاسية ونظر إلى سكاى بعينين باردتين كالجليد، فاحمر وجهها لتذكيره إياها بعرضه الزواج الذي رفضته منذ يومين.

سألته بيلندا: «هل ستساعد تشارلز أم لا؟».

ردت بإيجاز: «سأفعل».

هز رأسه لسكاى، وقال قبل أن يذهب: «ربما أراك ثانية مرة أخرى».

ردت قائلة في سرها: «ليس إن رأيتك أولاً».

من الابتسامة التي ظهرت على وجه فوكنر قبل أن يستدير ليمشي باتجاه

صهره عرفت سكاى أنه يعرف تماماً ما تفكر فيه.

قالت بيلندا بعد أن أطلقت زفرة ارتياح لذهاب أخيها: «أخيراً!».

ثم أضافت: «أنا أسفة بشأن ذلك يا سكاى. رأيتك تتحدثين بفرح مع التوأمين، وفجأة جاء فوكنر. جئت إلى هنا بأسرع ما يمكنني».

ضحكت سكاى عندما رأت الذعر على وجه بيلندا. أكدت لها

بنعومة: «لا تقلقي يا بيلندا. أنا قادرة على التعامل مع فوكنر».

- أعلم ذلك، لكنني وعدتك. على فكرة، أحب التوأمان الألعاب

التي جلبتها لهما.

ابتسمت سكاى بجمرة: «على الرحب والسعة».

شراء الألعاب اقتطع جزءاً كبيراً من النقود التي بقيت معها، لكنها لم

ترد المحميء إلى هنا اليوم دون إحضار شيء للطفلين.

نظرت بيلندا إلى حيث يقف فوكنر وتشارلز، وقد بدوا منهمكين

بوضع اللحم على المشواة. قالت بنبرة تفيض بالحب: «أظن أنني جرحته

بعمق بكلامي الآن، لكنه ليس سعيداً في حياته منذ بضعة سنوات عاطفياً

وجسدياً على السواء».

المخفص حاجبا سكاى في تقطية شديدة، وقالت: «هل تحاولين جعلي

أشعر بالذنب؟».

- آه! كلا. أنا فقط... حسناً! ربما بدا الأمر كذلك، لكن الأمر

فقط... أنا وفوكنر مقربان من بعضنا و... لا أحب أن أراه حزيناً.

هزت سكاى رأسها، وقالت: «إذا كان حزيناً فلست أنا السبب. في

الحقيقة، عليه أن يفرح لأنه تخلص مني».

ضحكت بيلندا ضحكة جافة، وقالت: «لا يبدو سعيداً».

لا! وافقتها سكاى سرّاً بعد أن نظرت إلى فوكنر ورأت العبوس يعلو

وجهه وهو يساعد تشارلز.

- سيعتاد على الأمر.

قالت سكاى ذلك، واستدارت إلى الجهة الأخرى قائلة: «أخبريني

من هم ضيوفك الآخرون؟».

بدا من الواضح لسكاي أن عائلة تشابمان محبوبة في المنطقة وذلك من خلال المودة التي أظهرها الضيوف الآخرون لبييلندا التي اعتذرت أخيراً للاشراف على سير شواء الطعام.

عدد الضيوف ناهز الخمسين، وإن كان أحدهم قد رأى صورة سكاي في صحف البارحة، فلا بد أنه تحلى بما يكفي من التهذيب كي لا يذكر ذلك. في الحقيقة، بعد ساعة من الزمن بدأت سكاي تستمتع بوقتها لدرجة أنها نسيت وجود فوكنر في الجانب الآخر قرب المشواة. تقريباً...!

بدا من المستحيل نسيانه كلياً، لاسيما حين تنظر إلى الناحية التي يقف فيها وترى نظراته منصبة عليها على الدوام. أعطى فوكنر نصف انتباهه لعملية الشواء، لكن تركيزه الأكبر ظل على سكاي وهي تضحك وتسامر مع بعض الضيوف، فارتسم على وجهه تعبير يفضح قلة صبره وضجره من العمل الذي يقوم به.

- سيلينا؟!

قطبت سكاي حاجبيها وهي تستدير لتواجه الرجل خلفها الذي يتساءل عن هويتها. رأت رجلاً طويلاً وسيم الملامح في الثلاثين من عمره تقريباً، وهو يحدق إليها بعدم تصديق. تحدث الرجل ثانية: «لا. أنت لست سيلينا. أليس كذلك؟ منذ دقيقة ظننت...».

هز رأسه محاولاً استجماع شتات نفسه، وأضاف: «أنا آسف. لا بد أنني بدوت فظلاً. كل ما في الأمر أنك تذكريني بشخص آخر».

شخص آخر اسمه سيلينا. سيلينا هارينغتون؟

- لا بأس.

أجابته سكاي بخفة، وشعرت بالارتياح لأنه على الأقل لم يعرف أنها سكاي أوهارا التي ظهرت صورتها في الصحف أمس.

أضافت تقول له: «أنت لست أول شخص يقع في هذا الخطأ».

هل يمكن أن يكون هذا هو سبب عرض فوكنر المفاجئ الزواج عليها يوم الجمعة؟ لأنها تشبه زوجته السابقة؟



ابتسم لها بول بجمارة، فيما نظرات عينيه البنيتين تجولان عليها بإعجاب. أضاف: «أعتقد أن بيلندا أعلنت أن الطعام جاهز. هلاً ذهبنا لإحضار البعض منه؟».

رغم أن بول باركلي أخطأ وظنّها زوجة فوكر السابقة، لكنه يبدو لطيفاً. بيلندا وقعت في الخطأ نفسه يوم تعرّفت عليها ولم يؤثر ذلك في محبتها لها. ثم إنها لا تريد أن تكون وحدها عندما تقترب من الطعام لأن فوكر ما زال يشوي اللحم.

- هذا يبدو لطيفاً.

وافقت سكاي، ووضعت كوبها الفارغ على إحدى الطاوات الموضوعة في الخارج.

- رائع!

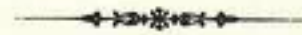
ابتسم لها بول ابتسامة صبيانية. وفيما هما يمشيان باتجاه الطاوات المليئة بالطعام، علمت سكاي أنه أعزب وأنه في الثالثة والثلاثين من عمره، وقد عاش في هذه المنطقة لأربع سنوات وهو يجد كل شيء فيها كما يجب. أضاف بول وهو ينظر بجمارة إلى سكاي: «وأحبها أكثر اليوم!».

لم تكن سكاي متأكدة أنها تريد أن يعجب بها هذا الرجل كثيراً، فهي ستعيش في هذه المنطقة لفترة من الزمن، وكما يبدو لها من سير الأمور، ليست فكرة جيدة أن تضيف تعقيدات جديدة إلى حياتها. كما أن هذا الرجل ظنّها في البداية سيلينا هارينغتون.

ألقت عليه سكاي نظرة جانبية، وسألته: «هل كنت صديقاً لسيلينا هارينغتون؟».

تذكرت الفرحة الحقيقية التي ظهرت في صوت بول حين اعتقد أنها سيلينا. إذا كان بول صديقاً لسيلينا، فهو الشخص الأول الذي يعترف بذلك.

٩ - دعوة إلى العشاء



- أنا آسف! يجدر بي أن أعرفك عن نفسي.

قال الرجل الآخر ذلك وقد تعافى سريعاً من دهشته في ما يتعلق بهويتها، فظهرت على فمه ابتسامة ودودة كبيرة وعاد اللون إلى خديه. مدّ يده إليها وأضاف: «أنا بول باركلي، طيب بيطري».

صافحته سكاي، وهزت رأسها، ثم قالت باقتضاب: «أنا سكاي. تشرفت بمعرفتك».

إنه رجل طويل القامة، نحيل، شعره أشقر ناعم يغطي جبهته. سألها بعد أن هز رأسه لها احتراماً: «هل أنت صديقة للعائلة؟».

- أنا أعرف العائلة كلها، نعم. لكنني تلقيت دعوتي من التوأمين. لم تستطع تحديد ماهية العلاقة بينها وبين فوكر، لكنهما بالتأكيد ليسا صديقين.

هز بول رأسه، وقال: «بيلندا وتشارلز شخصان رائعان. أليس كذلك؟».

- أنا... تعارفنا منذ وقت قصير، لكن، نعم. أنا أجدهما لطيفين. والتوأمين رائعان.

أوضح لها بول سبب وجوده في الحفلة قائلاً: «أنا آتي إلى هنا أحياناً لمعاينة كلب العائلة».

رأت سكاي كلب الصيد الذهبي اللون وهو من نوع اللابرادور يتجول بين الضيوف ويهز ذيله فرحاً. ابتسمت وقالت لبول: «لا أعتقد أنه بحاجة إلى مساعدتك اليوم».

احمر خداه وهو يهز كتفيه بلا مبالاة: «عرفتها جيداً، نعم». هذا ليس اعترافاً. فكرت سكاى وهي تتساءل أي نوع من الأصدقاء كان بول وسيلينا.

حين وصلا إلى الطاولات العامرة بأنواع السلطة والمعكرونة بالإضافة إلى اللحوم المشوية قالت سكاى بحماسة: «بيدو الطعام شهياً».

قال بول بسخرية وهو يعطيها صحناً ويأخذ آخر لنفسه: «أنا أعزب، وأي طعام يعده شخص آخر يبدو شهياً بالنسبة لي، فطعامي المعتاد مساء كل أحد هو التوست والبازيلاء».

ضحكت سكاى وفهمت أن بول أراد إضحاكها كي يبعد تفكيرها عن التساؤل حول صداقته بسيلينا هارينغتون. حسناً! لا علاقة لها بالأمر، ففي النهاية تطلق فوكنر وسيلينا بعد اتهامها إياه بوجود امرأة أخرى في حياته وليس العكس.

- ماذا تظنين نفسك فاعلة؟

تصلبت سكاى وجمدت مكانها بعد أن ميزت صوت فوكنر وهو يقول هذا قرب أذنها، فيما كان بول بعيداً عنها. استدارت إليه عابسة، وازداد عبوسها حين رأت تقطيعته الغاضبة. أجابته بانزعاج: «أنا أحضر لنفسي بعض الطعام، ماذا يبدو لك أنني أفعل؟».

ضاقت عينا فوكنر لسخريتها، فقال بحدة: «بيدو أنك تصادقت مع بول باركلاي».

نظرت نحو بول فرأته يتحادث مع تشارلز بسهولة، ولاحظت كم هو ودود ولطيف. هزت كتفها بلا مبالاة وقالت: «بيدو لطيفاً جداً».

تصلب فك فوكنر، وقال: «أنت بعيدة جداً عن أول امرأة قالت الجملة ذاتها».

هل يلمح فوكنر إلى سيلينا، زوجته السابقة أم إلى امرأة أخرى؟ هزت كتفها وقالت: «لم لا؟ يبدو لي أعزباً مناسباً».

- آه! جداً.

قال فوكنر ذلك بسخرية، وأضاف: «أليس في حياتك تعقيدات كافية من دون إضافة هذا الرجل إليها؟».

بالرغم من أنها وصلت إلى هذا الاستنتاج قبله، لكنها لم ترحب به وهو يقوله. ضغطت شفيتها بانزعاج، وقالت: «ربما أحتاج إلى رجل في حياتي لمساعدتي على حل التعقيدات باستثنائك أنت، بالطبع».

أخذ فوكنر نفساً عميقاً، وسألها بقسوة: «باستثنائي أنا؟ لماذا؟».

أطلقت ضحكة تخلو من المرح، وأجابته: «ربما لأنك أكثر الرجال تعقيداً».

- وما هي تعقيداتي؟

هزت سكاى رأسها بتعال، وقالت: «لا مجال للخوض في ذلك الآن».

- تناولي العشاء معي غداً لنناقش ذلك، ثم حاولي جعلي أقل تعقيداً. اتسعت عينا سكاى لهذه الدعوة. هل يدعوها فوكنر للخروج معه في موعد؟ أم أنه يقصد دعوتها لتناول العشاء في بيته؟

- هناك مطعم فرنسي جميل عند طرف البلدة. تابع فوكنر كلامه وكأنه أحس أنها سترفض دعوته. إنه يسألها الخروج معه في موعد... هذا لا يصدق! منذ ستة أشهر فقط كانت ستشعر بالحماسة لهذه الدعوة، حتى منذ ثلاثة أسابيع كانت ستحس بالشيء ذاته، لكن بعد أحداث الأسبوعين الماضيين بدأت تشعر بالريبة نحو هذه الدعوة.

- إذا استطعت أن أحجز طاولة في مطعم فرانسوا الساعة الثامنة يمكنني الذهاب إلى الفندق في الساعة السابعة والنصف كي...

قاطعته سكاى بحدة: «كلا، لا يمكنك».

ضاقت عيناها وأجابها: «ولم لا؟».

- السبب الأول هو أنني لم أقبل دعوتك للعشاء بعد.

- والسبب الثاني؟

لم تعد سكاي تقيم في الفندق. انتقلت منه قبل ساعة فقط من قدومها إلى حفلة عيد ميلاد التوأمن. نجحت في أول مقابلة عمل أجرتها هذا الصباح، وحصلت على وظيفة في إسطنبول للخيول وعلى مسكن قريب منه. بالرغم من أن الأجر ليس مرتفعاً، إلا أنها سترتاح من أعباء دفع إيجار الفندق لأن السكن مؤمن بالمجان مع الوظيفة. غير أن سكاي لم تشأ إخبار فوكنر عن وظيفتها الجديدة وما هي أو أين تقيم.

لأول مرة في حياتها وجدت نفسها وحيدة وبجيرة على شق طريقها في الحياة بنفسها، وبالرغم من الصعوبات التي تواجهها فهي تقوم بالأمر على نحو جيد. وجدت وظيفة ومسكناً، وأطمأنت لأن مدير الاسطبلات سمح لها بإحضار ستورم معها شرط أن تقوم بالعناية به وتدفع بدلاً مقابل إقامته هناك.

أجابت سكاي عن سؤال فوكنر بجدة: «السبب الأول كافٍ حالياً. لماذا تود دعوتي إلى العشاء يا فوكنر؟».

إذا كان حديثها مع بول باركلاي هو سبب تلك الدعوة، فعليه أن ينسى أمر العشاء إذاً.

هز فوكنر كتفيه العريضتين، وأجابها: «إنها مبادرة جيدة ليس أكثر» - جيدة؟

رددت سكاي ما قاله بعدم تصديق، وأضافت: «فوكنر! أنت تعيش بعيداً عن البلدة على الأقل ثلاثة أميال».

- بل أربعة. لكن المسافات لا تعني شيئاً في هذه المنطقة.
وافقت سكاي في سرها على كلامه، فهي تعلم أن الأمر ذاته يحدث في إيرلندا. لكن بالرغم من ذلك...

- سكاي! أعلم أن الوقت غير مناسب للخوض في هذا، لكن مازالت هناك بعض الأشياء التي يجب أن نناقشها.

قال فوكنر ذلك بإصرار وهو ينظر وراء سكاي إلى بول باركلاي الذي يشق طريقه عائداً إليهما.

- مثل ماذا؟

تحدثه سكاي وهي تعي اقتراب الرجل الآخر وتوتر فوكنر. هل السبب هو الرجل الآخر؟ لا فكرة لديها عن ذلك، ولا فكرة لديها ما إذا كانت ستقبل دعوة فوكنر للعشاء أم سترفضها. بناء على تجربتها السابقة معه، جزء منها يقول لها إنها يجب أن تبقى بعيدة عنه، لكن الجزء الآخر منها... ذلك الجزء الذي أحبه كثيراً لدرجة العذاب، أراد بيأس أن تقول نعم.

التوى فمها بسخرية وهو يجيب: «ببساطة، لا يوجد وقت ولا خصوصية لمناقشة ذلك الآن».

ردد فوكنر ما قالت له سابقاً، وفي الوقت ذاته رأى بول باركلاي يتوجه نحوهما مباشرة. قال بنفاد صبر حين رأى ترددها: «هيا، يا سكاي! إنه عشاء فقط، بحق السماء!».

ربما هو مجرد عشاء بالنسبة له، لكنه بالنسبة لها يعني إعادة فتح ذلك الباب الذي صفقته بوجهه مؤخراً. أحنى فوكنر رأسه ليصبح فمه قرب أذنها، وقال بنعومة: «ماذا لو وعدتك بعدم ذكر كلمة زواج؟».

رجعت سكاي إلى الوراء بجدة، ورفعت رأسها بتحد قائلة: «لا تفكر بالأمر. آه، حسناً! العشاء غداً مساء. لكنني سألاقيك إلى المطعم».

أضافت جملتها الأخيرة بانزعاج حين رأت وجهه يلمع انتصاراً لموافقتها. خبا بعض هذا الانتصار بعد جوابها. قال وهو يقطب جبينه: «وكيف تنوين فعل ذلك؟ آخر ما سمعته هو أنك لا تملكين سيارة».

صحيح أنها لا تملك سيارة، لكنها تستعمل واحدة من سيارات الرانج روفر العائدة للاسطبلات، وقد سمح لها مديرها الجديد بقيادتها عند الحاجة. في الوقت الراهن لم تشأ سكاي أن يعرف أين تقيم.

لكن قول فوكنر إنها لا تملك سيارة ذكر سكاي بما حدث منذ أسبوعين وكيف تحطمت سيارة المرسيدس التي استأجرها والدها لدى إقامتهما في إنكلترا. لاشك أن فوكنر لاحظ الحزن الذي خيم عليها

فجأة، فاسودت ملامحه وقال معتذراً: «اللجنة، سكاى! لم أقصد أن...».

- ها أنت هنا يا سكاى!

وصل إليهما أخيراً بول باركلاي وفي يده صحن مليء بالطعام. تابع كلامه بخفة: «أنت تقوّتين على نفسك ذلك الطعام الشهي».

ثم لاحظ وجود فوكنر، فبدت نظراته أكثر حذراً وهو يستدير إليه ويحييه قائلاً: «مرحباً، فوكنر».

أهو خيال سكاى الذي يصور لها هذا الخذر المتبادل بين الرجلين؟ ربما لا، فتصرف فوكنر السابق تجاه الرجل الآخر يؤكد ذلك.

- مرحباً، باركلاي.

أجابه فوكنر بجفاء، ثم تابع كلامه مع سكاى: «إذاً، سأراك غداً مساء وقت العشاء يا سكاى».

هز رأسه بأدب لباركلاي قبل أن يخطو مبتعداً وهو يعرج قليلاً باتجاه تشارلز الذي يقف قرب المشواة.

ساد صمت غريب بعد ذهابه، وهذا أمر أثاره فوكنر متعمداً بعبارة الأخيرة.

- لم أعرف أنك وفوكنر صديقين مقربين.

قال بول باركلاي ذلك بخفة وهو يقف بجانبها. خمنت سكاى فوراً أن الخفة التي يتحدث بها بول باركلاي مصطنعة وذلك من خلال ملامح وجهه المتصلبة، وهذا جعلها تقتنع أكثر أن الرجلين لا يجبان بعضهما كثيراً. تساءلت في سرها، هل السبب سيلينا هارينغتون؟ رأت أن الأمر ممكن، لكنها لم تشأ أن تسأل بول باركلاي عن الأمر، كما شكت أن يجبرها فوكنر عن ذلك.

صححت سكاى كلامه برقة قائلة: «أخبرتني أنني أعرف العائلة».

ابتسم بول وقال: «صحيح. تذكرت أنك قلت ذلك. أنا متأكد أن بيلندا ستحضر لكما مأدبة شهيّة غداً مساءً، فهي طبّاخة رائعة».

سكاى متأكدة أن بيلندا طبّاخة ماهرة، وقد برهنت قدراتها في معظم الأحيان. لكنها لن تطبخ لسكاى وفوكنر غداً مساءً.

نظرت سكاى إليه وقالت لتغيظه: «أصحيح أن الطريق إلى قلب الرجل تبدأ بمعدته؟».

- إنها كذلك بالنسبة لأعزب في الثالثة والثلاثين من العمر!

هزت سكاى رأسها قائلة: «يا للخسارة! لا أعرف عن الطهو أكثر من قلي البيض باللحم!».

توهجت عينا بول بإعجاب وهو يقول: «أنا متأكد أنه لم يفت الأوان بعد لتتعلمي».

شعرت سكاى بالانزعاج. لن ينفعها تشجيع هذا الرجل، فهي لا تهتم لأمره بالرغم من أنه لطيف جداً. على مر السنوات، اكتشفت سكاى أن العالم مليء بالرجال اللطفاء. لكن بما أنها واقعة في حب فوكنر، لم تتعمد يوماً مغازلة أو تشجيع أي منهم. أما مغازلة فوكنر، فهي أمر مستبعد.

- لسوء الحظ، لانية لي في التعلم. لكن بما أنني جائعة سأخذ بنصيحتك وأكل بعض الطعام.

لم يفهم بول كلامها على أنه تلميح له بالانصراف من جانبها، بل رافقها إلى الطاولة حيث اختارت طعامها ثم جلس معها، في حين حوّلت سكاى الحديث بينهما متعمدة إلى محادثة عامة تتعلق بالمنطقة.

برهن بول لها أنه رقيق مسلّ، فأخبرها عن بعض الحالات المضحكة التي استدعي ليتعامل معها. لكنها لم تستطع الاسترخاء في صحبته، لأنها رأت نظرات فوكنر المتفحصة مسلطة عليهما طوال الوقت، وهي نظرات تعبر عن استيائه الكامل.

١٠ - وديعة ووصيان

- ما الذي فعلته بنفسك حق السماء؟!

عبست سكاى في وجه فوكتر فيما انضمت إليه للتو عند الطاولة التي حجزها في مطعم فرانسوا.

بذلت جهداً كبيراً لا تجعله يلاحظ مدى تصلبها وهي تمشي. الساعات التي أمضتها وهي تعمل اليوم ليست جيدة لضلعها المكسورين. من جملة الأولى علمت سكاى أن الوقت والجهد اللذين بذلتهما في أخذ الحمام الساخن وتناول المسكنات قد ذهباً سدى. جلست على الكرسي الذي سحبه لها فوكتر، وشعرت بالامتنان حين ابتعد عنها ليجلس على كرسيه قبالتها. حين استمر صمتها حثها فوكتر على الكلام قائلاً: «حسناً!؟».

ردت عليه بانتقاد: «مساء الخير لك أيضاً يا فوكتر. هل تسمح لي بإخبارك كم تبدو وسيماً هذا المساء؟».

لم يتأثر فوكتر بكلامها، لكنه قال: «أنت من تبدو جميلة فعلاً. أنت دائماً جميلة، لكنك تمشين وكأن أحدهم صدمك بمحذلة!».

البهجة التي شعرت بها سكاى بعد جملة الأولى عحتها جملة الثانية. - شكراً.

كشرت وهي تعترف داخلياً أنه يبدو رائعاً حقاً هذا المساء ببذلة الداكنة الثمينة وقميصه الزرقاء التي تعكس زرقة عينيه.

- أنت على الرحب والسعة.

أجابها فوكتر بنبرة جافة وهو مازال ينظر إليها بعينين ضيقتين.

- إذاً، ماذا كنت تفعلين؟

إنه مصمم على معرفة كل شيء. أجابته بانزعاج: «هذا وذاك. هل يمكنكني طلب بعض المياه الغازية؟».

طلب فوكتر من النادل الذي مرّ قريهما كوبى مياه غازية، ثم استدار نحوها وعلّق رافعاً حاجبيه: «أنت تقودين؟ هل اشتريت لتفسك سيارة اليوم؟».

- ليس تماماً.

تجنب سكاى الإجابة. فاللاند روفر الذي استعارته لهذا المساء أبعد ما يكون عن الرفاهية كما اكتشفت في وقت مبكر. اضطرت إلى وضع بطانية على المقعد الأمامي قبل أن تجلس عليه بفستانها الأسود، وشعرت بكل حفرة أو تعرج في الطريق حيث كانت السيارة تقفز كلما مرت بواحدة. تابعت سكاى كلامها بغموض: «لكن لدي وسيلة نقل. أذكر أنك قلت لي إن هناك أشياء علينا مناقشتها...».

- ما رأيك لو طلبنا الطعام أولاً؟

شعرت سكاى كأنها تلقت صفة. صفة خفيفة، لكنها صفة! - لا بأس.

أمسكت قائمة الطعام بين يديها، وراحت تنظر إلى أنواع الطعام في اللائحة.

اللجنة على هذا الرجل! لديه قدرة على تولي زمام الأمور وتحويلها لصالحه.

- عرفت أنك تركت الفندق.

تحدث فوكتر ما إن طلبا الطعام الذي هو عبارة عن دجاج مع الخضار لسكاى وحساء مع اللحم لفوكتر. نظرت إليه بحدة.

- كيف عرفت ذلك؟

هز كتفيه دون اهتمام وأجاب: «اتصلت بك هذا اليوم، فأخبرتني مارغريت أنك خرجت من الفندق البارحة».

نعم، هذا ما فعلته. فبالرغم من أن سكنها الجديد ليس بفخامة الفندق وقد اكتشفت الليلة الماضية أن ليس فيه تدفئة، لكنه مجاني مع عملها على الأقل.

المتسولون لا يضعون الشروط! هذا ما فكرت فيه وهي ترتدي الجوارب الصوفية قبل أن تأوي إلى الفراش.

سألته بخفة: «ماذا إذا؟».

- إذا، خرجت من الفندق.

- إلاّ ترمي؟

- من الواضح أنك ما زلت تقيمين في هذه المنطقة.

- و...؟

تنهد فوكنر بعمق وقال: «سكاي! لاشك أنك لاحظت أن مجتمعنا صغير ومترايط. عاجلاً أم آجلاً سيخبرني أحدهم أين تسكنين الآن، لذلك من الأفضل أن تطلعيني أنت على هذه المعلومات».

- وأحرمك من لذة الاستماع إلى الثرثرة؟

التمعت عيناه بتحذير، وقال بنبرة جافة: «أنا لا أصغي إلى الثرثرة يا سكاي، لكن بيلندا تفعل. وأؤكد لك أن אחتي الصغيرة ستمرر المعلومات لي سواء أردت معرفة هذه الأخبار أم لا».

- إذا، لم لا تنتظر لترى كم مستغرق هذه المعلومات قبل أن تصل إليك؟ أعتقد أن الموضوع الأهم هنا هو لماذا اتصلت بي صباح هذا اليوم. أليس كذلك؟

بدا كأنه يريد أن يجادل حول هذه النقطة، لكن الطعام وصل إلى مائدتهما في تلك اللحظة، فانتظر إلى أن أصبحا وحدهما ثانية قبل أن يتكلم.

- اتصل بي محامي والدك هذا الصباح، وهو يريد أن يرانا كلانا في أقرب وقت ممكن.

قال فوكنر ذلك وقد بدا عليه التردد. هذا طبيعي، فالسبب الوحيد

الذي يدفع المحامي لرؤيتها بتلك السرعة هو موضوع قراءة الوصية الذي تأجل يوم الجمعة. مجرد ذكر الأمر أسدل ظلالاً قائمة على هذه الأمسية.

لتؤجل لحظة الحقيقة أكثر بدأت سكاي بتناول الطعام بالرغم من أنها فقدت شهيتها مسبقاً، وهذا أمر مؤسف. فبالرغم من الألم الذي تحسّ به في عظامها بعد نهار عمل مضمّن، شعرت سكاي أن عملها خطوة إيجابية نحو الأمام. لكن موضوع المحامي أرجعها إلى الكابوس.

- لا أعلم لماذا يريد رؤيتي أصلاً. أنفق والذي كل النقود التي يملكها حين سدد أموالاً للدائنين في شركة أوهارا. لم يكن معه نقود حين... حين توفي.

- لم يكن في الشركة نقود.

صحح فوكنر كلامها بركة.

- الأمر سيان.

هز فوكنر رأسه وقال: «ليس تماماً. بالرغم من أن لديك بعض الحق في ما قلته».

- ماذا تقصد؟

- سكاي، منذ سنوات عديدة، وقبل أن تتفجر مشاكل عمك سينموس في وجهه، خاض والدك معي بعض المغامرات المالية التي جاءت لصالحنا.

سألته سكاي ببطء: «أحقاً؟».

لم يذكر والدها شيئاً عن ذلك. هز فوكنر رأسه بحزم وقال: «نعم».

لم تعرف سكاي إن كان عليها فعلاً أن تصدق كلامه، إذ قد تكون هذه محاولة أخرى من فوكنر لمساعدتها.

- حتى لو كان ما تقوله صحيحاً، كيف تتأكد أنه لم يستثمر ذلك المال

ثانية في شركة أوهارا؟

- أنا متأكد من ذلك.

نفحصته سكاي بنظراتها، فبدا هادئاً وعيناه تنظران إلى عينيها بثبات.

استنتجت أن هناك شيئاً آخر لم يخبرها به فوكر بعد...
- فوكر، قلت لي إن المحامي يريد رؤيتنا نحن الاثنين.
- هذا صحيح.

وحين لم يصف شيئاً حثته سكاي على المتابعة.
- حسناً؟

- سكاي، كم تبلغين من العمر؟

- كم...؟ بحق السماء! ما دخل هذا بما نقوله؟

- إنه صلب الموضوع في الواقع.

لاشك بوجود شيء آخر لم يخبرها به بعد. من تعابير وجهه القائمة

أدركت سكاي أن الأمر لن يعجبها.

- أخبرني ما الأمر يا فوكر.

- عيد مولدك في شهر شباط القادم. أليس كذلك؟

عبست سكاي وسألت: «كيف عرفت ذلك».

- لاشك أن والدك ذكر الأمر أمامي. أهذا صحيح؟

- نعم.

هز فوكر رأسه ببطء، وقال: «هذا ما ظننته. سكاي، وضع والدك

المال الذي جناه من خلال استثماراتنا كوديعة لك في وصيته إلى أن تبغني

الخامسة والعشرين من عمرك».

طرفت سكاي عينيها وسألت: «أحقاً فعل ذلك؟».

ظهر شبح ابتسامة على شفتيه، وقال: «نعم. بعد سبعة أشهر سوف

ترثين ذلك المال».

وذكر لها مبلغاً كبيراً جعلها عاجزة عن الكلام، لاسيما أن الشهور

الستة الأخيرة مرت بصعوبة على سكاي ووالدها.

هل فعل والدها ذلك؟ هل جنى المال ووضع كوديعة لها دون أن

يخبرها شيئاً؟ هذا يبدو صعب التصديق، كما يبدو شيئاً آخر أيضاً... .

سألت سكاي ببطء: «كان يعلم. أليس كذلك؟ عرف أن شركة

أوهارا ستتهار يوماً ما مهما حاول إنقاذها، لذلك ترك ذلك المال لي».

- نعم، يمكنني قول ذلك الآن. أعتقد أن هذا ما فعله والدك، لكنني

لم أكن أعلم ذلك حين كتب وصيته. أما الآن، وبعد أن علمت بشأن

تورط عمك سيموس في إفلاس شركة أوهارا أنا متأكد أن كونور ترك لك

ذلك المال الذي لا علاقة له بالشركة إطلاقاً كي لا تنهار حياتك أيضاً

بانهيار الشركة.

شعرت سكاي بوخز الدموع في عينيها. حتى بعد موته مازال والدها

يعتني بها. لكنها مستعدة للتخلي عن كل شيء، عن المال والأمان المادي،

في سبيل استعادته إليها حياً.

- سكاي!

تأوه فوكر حين تفرقت الدموع على خديها. مد يده عبر الطاولة

ليمسك بيدها ويؤكد لها بقوة: «سيكون كل شيء على ما يرام يا

سكاي!».

كلا! هذا ليس صحيحاً. لن يعود أي شيء إلى سابق عهده ثانية.

تلك الأموال التي تركها والدها لن تعيده إليها، والبكاء أمام فوكر لن

يجعل الأمور سهلة أيضاً.

سحبت يدها من قبضته لتمسح الدموع عن خديها وتجلس باستقامة

قبل أن تقابل نظراته المتفحصة بعبوس.

- وما الحصيلة يا فوكر؟

رفع حاجبيه مستفهماً: «الحصيلة؟».

التوى فمها في ابتسامة تخلو من المرح، وسألته بنبرة جافة: «ما دورك

في هذا كله، باستثناء أن والدي أطلعك على سره عن الوديعة؟».

ما زالت تشعر بالدهشة، فهي خلال الأسابيع القليلة الماضية

اكتشفت أشياء كثيرة، وفوجئت بعمق صداقة والدها مع هذا الرجل.

أخذ فوكر نفساً عميقاً وقال: «كما قلت لك. ترك والدك المال

كوديعة تستلمينها حين تبلغين الخامسة والعشرين من العمر».

ستبلغ الخامسة والعشرين بعد سبعة أشهر. أما الآن فلديها وظيفة، وهي قادرة على إعالة نفسها ما دامت مضطرة لذلك. بعد أن علمت بشأن المال، فإنها تنوي استخدام جزء منه لمساعدة عمها سيموس.

- سكاي، هنا وصيان على هذا المال.

تابع فوكنر كلامه حين استمرت تنظر إليه بصمت: «ولأسباب قانونية واضحة، محامي والدك هو أحد الوصيين...».

- وأنت الوصي الآخر!

أدركت سكاي ذلك فجأة، فحدقت به غير مصدقة. إنها على حق! علمت أنها على حق بسبب جمود ملامح فوكنر وهو ينظر إلى عينيها المتهمتين. إذاً، هذا ما يحاول فوكنر إخبارها به.

فوكنر هو المؤمن على أموالها، وهو بمثابة الوصي والراعي المادي لها. حسناً إنه واحد من الوصيين.

فوكنر...! اختاره والدها من بين جميع الناس. لكن، لماذا يختار والدها رجلاً لم تره سكاي طوال ست سنوات؟ لأنه يثق به...؟

شيء واحد تعرفه سكاي وهي متأكدة منه... إن حب والدها لها مطلق، وسعادتها هي هدفه الأساسي في الحياة، ولم يكن ليوكل سعادتها إلى رجل لا يثق به. لكنه لم يخبرها عن المال الذي تركه لها في وصيته أو أن فوكنر هارينغتون هو أحد الوصيين. هل أمل والدها أنها لن تحتاج إلى معرفة ذلك؟ ناضل والدها حتى النهاية ليؤمن لها مستوى معيشة راقياً، ولم يخطر بباله أنه سيموت قبل بلوغها الخامسة والعشرين من عمرها. لا بد أنه علم أن سكاي ستكره فكرة الوديعة المالية وما تعنيه.

- أنت الوصي الآخر، أليس كذلك؟

تنهد فوكنر بعمق، ثم هز رأسه وقال: «نعم».

تمتمت سكاي بإحباط قائلة: «عظيم! هذا عظيم فعلاً».

- أدرك أنك لست متحمسة لفكرة هذه الوصاية يا سكاي، لكن...

- لا يمكنك أن تتخيل كم أنا غير متحمسة يا فوكنر.

قاطعته سكاي بغضب. إن فكرة عدم رؤيتها لفوكنر ثانية ألتها كثيراً، لكنها لم تستطيع أن تتقبل فكرة أنها مقيدة إليه بذلك الشكل المادي وأنه مقيد إليها للسبب عينه.

التوى فمه في ابتسامة تخلو من المرح، وقال: «يمكنني أن أخزن ذلك. اسمعي يا سكاي! لم أكن مجبراً على البوح بأي من هذه الأمور هذه الليلة. كان بإمكانني...».

- آه! بلى. لأنك تعلم تماماً ما ستكون عليه ردة فعلي إذا سمعت الأمر ببرودة من المحامي!

قالت ذلك باتهام واحتقار، فأطلق فوكنر تنهيدة عميقة وقال: «لم لا تنظرين إلى الجانب المشرق في الأمر؟ لن يطول الأمر أكثر من سبعة أشهر. بعدئذ يمكنك أن تقولي لي بوضوح إن كنت لا ترغبين بصداقتي!».

لم تشأ أن تقول له ماذا تريده أن يفعل بصداقته. ما يجعلها لا تحتمل الأمر هو أنه لا يقدم لها سوى الصداقة. لو أنه يشعر نحوها بالقليل من ذلك الحب العميق الذي تكنه له لاختلف الأمر تماماً.

- لا يمكنني الانتظار... لا يمكنني تناول أي من هذا.

دفعت صحنها بعيداً عنها، فأظلم وجه فوكنر وقال: «امتناعك عن الطعام لن يحل المشكلة».

- هل تفضل أن أتقياً في المطعم؟

- أفضل أن تأكلي طعامك.

أجابته بجدة: «كالفتاة الصغيرة المطيعة».

كشر فوكنر وهو يهز رأسه، وقال: «أشك أن تكوني مطيعة. في الواقع، أذكر أنك كنت متيقظة تماماً منذ كنت في الثامنة عشرة من عمرك».

شعرت سكاي بالاحمرار يلون خديها حين تذكرت ما حدث بينهما منذ ست سنوات.

- لم أكن فتاة صغيرة حين كنت في الثامنة عشرة.

- أحقاً؟

رفع فوكنر حاجبيه باستهزاء، فردت عليه بتحد: «لا! متى يفترض بي أن أذهب لمقابلة هذا المحامي؟».

غيرت سكاي الحديث، ولم تعد راغبة بإكمال طعامها. صحح فوكنر كلامها بخفة: «متى يفترض بنا أن نذهب لمقابلة المحامي».

هزت سكاي رأسها وقالت: «لا أفهم لماذا يجب أن تكون موجوداً، فأنت تعلم ما كُتِب في وصية والدي».

هز فوكنر رأسه باقتضاب، وقال: «لهذا السبب يجب أن أكون موجوداً».

تمتمت سكاي بإحباط: «لا أصدق هذا. بحق السماء! بيم كان والدي يفكر؟».

أجابها فوكنر دون تردد: «بك!».

اختفى غضبها تماماً كما ينفد الهواء من بالون، وانحنت كتفها وهي تجلس في كرسيها بإعياء.

بالرغم من كل ما تفكر به سكاي تجاه هذا الموقف، ومهما وجدت وصاية فوكنر عليها لسبعة أشهر أمراً صعباً، هي تعلم تماماً أن والدها فعل ما هو الأفضل لها. وليس ذنب والدها إذا لم تشعر بالشيء ذاته تجاه خياراته. هي لم تصارحه يوماً بما تشعر به تجاه الرجل الآخر، لهذا السبب لم يتوقع أن يزعجها الاعتماد عليه بهذه الطريقة.

- نعم. بالطبع!

وافقت سكاي بصوت يخنقه الحزن، ثم أضافت: «متى تريد الذهاب لرؤية المحامي؟».

- أقترح أن نذهب غداً بعد الظهر عند الساعة الرابعة. هل يناسبك هذا الوقت؟

سألته بنبرة جافة: «بكلمات أخرى، أخذت موعداً لنا لمقابلة المحامي الساعة الرابعة من بعد ظهر الغد».

هز رأسه وقال: «بعد موافقتك، بالطبع».

- آه، بالطبع!

قالت سكاي ذلك بسخرية وهي تفكر بالأمر. إن سار برنامج عملها غداً كما سار اليوم ستكون لديها ساعتان فراغ بعد الظهر قبل أن يحين موعد إطعام الخيول في المساء. من المؤكد أنها لن تطلب عطلة في ثاني يوم عمل لها.

- أعتقد أن الساعة الرابعة من بعد ظهر غد مناسبة. سوف أخبرك مسبقاً إذا لم أستطع الذهاب.

- سكاي، أريد أن أعلم...

- لا يحق لك أن تسأل يا فوكنر.

حذرته بنعومة مدركة أنه سيسألها ثانية عن مكان إقامتها. ضاق فمه بعناد وقال: «أنا لا أوافق...».

- إذاً، لا توافق.

قاطعته سكاي بجدّة، وأضافت: «أنت أحد الوصيين الماليين يا فوكنر، لكن ذلك لا يعطيك حق التدخل في حياتي».

- أنت لا تجعلين الأمر سهلاً علي يا سكاي.

أطلقت سكاي ضحكة جوفاء، وهزت رأسها قائلة: «لا أعتقد أن الأمر سيكون سهلاً علينا نحن الاثنين يا فوكنر. لكننا سنعتاد على ذلك دون شك».

ردّ عليها فوكنر بخيبة أمل قائلاً: «لا شك أننا سنفعل. أتعلمين؟ لا أعتقد أن كونور أراد أن تجري الأمور بهذه الطريقة».

- ربما!

وافقت سكاي، فهي واثقة أن والدها لم يعلم أنها ستكره اعتمادها على فوكنر من بين جميع الناس.

مدّ فوكنر يده عبر الطاولة، وأمسك يدها بركة.

- ألا يمكننا أن نكون صديقين يا سكاي؟

كيف يمكنهما أن يكونا صديقين في حين أنها تريد منه أكثر من الصداقة؟ نزعتهما من يده وأجابته: «لم تكن صديقين في الماضي يا فوكر، فلماذا نصيح كذلك الآن؟».

قال بصوت أجش: «ربما... من أجل والدك!».

ابتلعت سكاى ريقها بصعوبة، وشعرت بعينيها تؤلمها وهي تنظر إليه عبر الطاولة. هزت رأسها وقالت: «هذا غير عادل يا فوكر».

- ربما! لكن فكري بالأمر. ما رأيك؟

كان لدى سكاى متسع من الوقت للتفكير خلال الليل الذي قضته ساهرة بعد أمسيتهما مع فوكر. شعر جزء منها بالفرح لأنها لن تنقطع كلياً عن رؤيته، إلا أن جزءاً آخر شعر بالانزعاج للسبب الكامن وراء ذلك.

أمر آخر جعلها تشعر بالقلق أيضاً، وهو يتعلق بالأيام الأخيرة الماضية التي ضايقتها وأفرحتها في الوقت ذاته. إنه يتعلق بأمر قاله فوكر أو فعله، إلا أنه ليس واضحاً في ذهنها الآن. فمع كل الأفكار الأخرى التي هاجمتها، لم تستطع سكاى أن تدرك ما هو بالتحديد.

١١ - مجنونة!

- كنت أعلم أنك متهورة، لكنني لم أعلم أنك مجنونة أيضاً!
أوقعت سكاى دلو الماء الذي كانت تحمله ما إن سمعت صوت فوكر وراءها مباشرة، فاستدارت تنظر إليه باهتمام بالرغم من أن الماء بلل ثيابها. سألته بجدة ونفاد صبر، فيما تلون خداهما بالغضب وهي تحديق به: «لماذا تفاجئني دائماً هكذا بالتسلل خلفي؟ يقفز إلى ذهني اسم الساحر هوديني كلما رأيتك».

حدق بها فوكر بقسوة، وبدأ نفاذ صبره واضحاً على وجهه.

- ماذا تظنين نفسك فاعلة، بحق السماء؟

قال ذلك بجدة وهو يخطو داخل الاسطبل حيث تعمل سكاى.

- ماذا يبدو لك أنني أفعل؟

انحنى لتلتقط الدلو الفارغ، وقالت بجدة وانزعاج: «علي أن أملا هذا ثانية الآن».

شعرت بارتجاف في يديها وهي تعي أن انزعاجها ناتج عن قرب فوكر منها. مد يده وأخذ الدلو منها بسهولة، ثم قال بجدة: «لا أظن ذلك».

رفعت حاجبيها بسبب نبرته المتسلطة، وقالت بصوت ناعم ينذر بالخطر: «ماذا؟ لا تظن ذلك؟».

هي لا تعلم ما الذي يفعله فوكر هنا في الاسطبل، وإنما يمكنها تخمين سبب وجوده جيداً. بطريقة ما، عرف فوكر أين تسكن ولم يعجبه ذلك.

لم يستطع انتظار أربع ساعات أخرى ليحين موعدهما قبل أن يعلمها أنه غير مرتاح للأمر. أجابها باقتضاب: «كلا. هل أنت مجنونة كلياً أم



جزئياً؟».

فكرت سكاى بسؤاله، وأجابته أخيراً بتحديد: «أنا مجنونة جزئياً، لكنني لست متأكدة تماماً. لا يمكنني الجزم بذلك».

- أنا أؤكد لك ذلك. هل نسييت أنك أصبت بكسور في أضلاعك منذ أسبوعين فقط؟

وضع الدلو على الأرض وهو يذكرها بذلك. كيف لها أن تنسى؟ من المستحيل أن تنسى الألم الذي شعرت به حين استيقظت هذا الصباح. في الواقع، ألمها جسدها بأكمله لا أضلاعها فقط. لزمها نصف ساعة من الوقت لتنهض من السرير وتغتسل وتلبس ثيابها. خفت آلام جسدها حين انهمكت في الأعمال الصباحية في الاسطبل، لكن بدا أن الألم يزداد ساعة بعد ساعة.

أجابته بجمدة: «ما علاقة ذلك بأي شيء آخر؟».

انفجر فوكنر صائحاً في وجهها: «بحق السماء يا سكاى! قلت لك ليلة البارحة إنه ليس عليك أن تعلمي...».

قاطعته بغضب وهي تضغط قبضتها إلى جانبيها: «لم تقل لي ذلك. وإذا كنت تقصد بكلامك الوديعه المالىة، تذكر أنني يجب أن أنتظر سبعة أشهر قبل الحصول عليها».

- لكنني أنا وبيتر برايان - بصفتنا الوصيين على المال - يمكننا تولي أمر إعطائك جزءاً منه إلى أن تصبحي في الخامسة والعشرين.

- حسناً! لم يقل لي أحد ذلك.

قالت له سكاى ذلك بجمدة، ولاحظت أنه لولا فارق الطول بينهما لأصبح أنفها ملاصقاً لأنفه، فكلاهما غاضبان وذقناهما مرفوعان بتحدٍ وعيناهاما تقدحان شرراً.

لاحظ فوكنر طرفة الموقف قبلها بلحظات فقط، فالتوى فمه وهو يحاول كبت ابتسامه، فيما فارق التوتر جسده شيئاً فشيئاً. تنهد قائلاً: «كلا. لم يقل أحد ذلك. حسناً! أؤكد لك أننا سنفعل. سنناقش الأمر

ونتنق عندما نلتقي الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم. في هذه الأثناء، لم لا تحضرين أغراضك و...».

عبست سكاى إذ لم تفهم قصده، فقاطعته قائلة: «عذراً، ما الذي تقوله؟».

- أحضري أغراضك. تحدثت إلى جايمس وهو مسرور لأنك ستفادين حالاً.

- هل تحدثت إلى جايمس هورلي؟

لم تتحدث سكاى مطلقاً مع مالك الاسطبلات، إذ إن الترتيبات كلها جرت عبر المدير.

ابتسم فوكنر ابتسامه باهتة، وقال: «أخبرتكم أنها بلدة صغيرة يا سكاى. أنا وجايمس نعرف بعضنا منذ سنوات».

لم لم تفاجأ سكاى بهذا الخبر؟ بالرغم من ذلك قالت بسخرية وتحد: «هذا جيد لكليهما. لكن ما دخل عملي هنا؟».

- أوضحت الوضع لجايمس وهو... .

قاطعته سكاى بجمدة: «أي وضع؟».

حتى الآن لم يلاحظ أي عامل في الاسطبل أنها ابنة كونور أوهارا الذي ظهر اسمه في الصحف مؤخراً، وحتى لو لاحظوا ذلك لم يبدُ عليهم الاهتمام بملاحقة الموضوع.

- وضع حادث السيارة الذي تعرضت له في الآونة الأخيرة، بالطبع. أنا لست عديم الاحساس تماماً، سكاى... .

- أحقاً؟

إنها غاضبة جداً الآن لدرجة أنها لم تلاحظ كم أصبح كلامها مهيناً. غضبت من فوكنر لأنه وجدها هنا، ومن نفسها لأنها على وشك البكاء في أي لحظة، وفوق ذلك كله غضبت لأنها تريد أن تهرع إليه وترتمي بين ذراعيه. قد تبدو ظاهرياً غاضبة من فوكنر، إذ لاشك أنه قال لجايمس هورلي إنها لن تعمل لديه بعد الآن، لكن ما يجعل الأمر لا يطاق هو أنها

داخلياً وصلت إلى القرار نفسه؛ إنها ليست جاهزة جسدياً للقيام بهذا العمل بعد، والمسكنات التي أحضرتها معها من المستشفى خفتت آلام أضلاعها قليلاً فقط.

شحب وجهه فيما انتفض عصب في فكه المشدود. أكد لها فيما جاء صوته كصرير الزجاج المكسور: «سكاي، هل تتعمدين قتل نفسك؟».

جاء دور سكاي الآن ليشحب وجهها، فبدت عيناها كبيرتين في وجهها وأجابته: «لا! بالطبع لا...».

- ما الذي سيحدث إذا تحرك أحد ضلعيك المكسورين ومزق إحدى رتتيك؟ ماذا لو كنت وحيدة هنا في أحد الاسطبلات عندما يحدث ذلك؟ وماذا...

- حسناً، حسناً! فهمت الصورة.

قاطعته بنفس متقطع، وهي تعلم أنه على حق.

- جيد. والآن، هل تحضرين أغراضك بنفسك أم أحضرها أنا؟

- شكراً جزيلاً لك!

ما زالت سكاي تشعر بالاحراج عندما تتذكر أنه دخل إلى غرفتها في الفندق في لندن، ووضب أغراضها بنفسه بما فيها الثياب الداخلية الحريرية. أضافت تؤكد له بإصرار: «سأوضب أغراضي بنفسني. وبعد ذلك، إذا لم يكن لديك مانع، أرجو أن توصلني إلى الفندق».

رد عليها دون تردد: «لا!».

سارت سكاي لتشق طريقها خارجة من الإسطل، لكنها استدارت إليه عندما سمعت جوابه وسألته: «ماذا تقصد؟».

- ما قلته تماماً. لديك خياران: إما أن تأتي للسكن معي أو...

انفجرت تقاطعه بإحباط: «لن أسكن معك».

- لم لا؟

- لأنني لا أريد ذلك.

شعورها القوي تجاهه يمنعها من البقاء قريبة منه.

- آسف لأنك تشعرين بهذه الطريقة. ربما تجددين الخيار الثاني ملامئاً أكثر. يريد منك تشارلز وبييلندا أن تبقي معهما إلى أن تجدي منزلاً ملامئاً لك.

مرة أخرى شعرت سكاي بوخز الدموع في عينيها للمبادرة اللطيفة من عائلة هارينغتون. بالرغم من أنها حاربت فوكنر لتغطرسه وتعاليه، لكنها تعي تماماً أن تصرفه نابع من لطفه ومن محبته لوالدها. بييلندا وتشارلز أظهرها لطفاً كبيراً نحوها أيضاً.

تابع فوكنر عندما لاحظ صمتها: «وغني عن القول إن التوأمين يرحبان ببقائك معهما».

بانت على ثغر سكاي ابتسامة مرتجفة وهي تفكر بالتوأمين المحبوبين ليسا وجيمي وبراءتهما، وأيقنت أن اندفاعهما وحبهما للحياة هو ما تحتاجه الآن.

- هل أفهم من صمتك أن الجواب هو نعم للخيار الثاني؟

- أجل.

- هذا جيد. والآن، هلاً خرجنا من هنا؟

ألقت سكاي نظرة متفحصة على فوكنر. لاحظت أنه بدا عابساً ومتوتراً حين وصل، ربما لأنه توقع منها أن ترفض اقتراحه، لكنها تساءلت هل هناك سبب آخر لهذا التجهم؟

منذ ثلاث سنوات كان عالم الاسطبلات والخيول ورائحتها المميزة يشكل محور اهتمام فوكنر وعالمه. وبالرغم من أنه ما زال يحتفظ بإسطل صغير في بيته إلا أنه لا يقارن بهذا.

أجابته موافقة: «نعم، بالطبع».

لم يُخف فوكنر دهشته لموافقتها المفاجئة، فسألها: «هل هناك شيء لم أنتبه له؟».

نظرت إليه بسخرية، وقالت: «ليس على حد علمي. صدق أو لا تصدق، فوكنر، أنا لست مجنونة».

تعمدت سكاي استعمال عبارة مشابهة للتي استعملها سابقاً .

- سأخذ كلمتك على محمل الجحد .

قال فوكنر ذلك بجفاء وهو يخلق باب الاسطبل خلفهما ، ثم أضاف حين رأى نظراتها المتسائلة : «لم أزد أدلة كافية تؤكد ذلك حتى الآن» .

- ربما لأنك لم تنظر بشكل كاف .

هز فوكنر رأسه وقال : «سأنتظرك في الرانج روفر ريشما محضرين أغراضك . آه . . . ! كدت أنسى إعطاءك هذا» .

أخرج من جيبه مغلفاً ، وقال حين رأى نظرتها المستغربة : «إنه راتيك يا سكاي . كلفني جايمس أن أوصله لك» .

- شكراً .

أخذت سكاي المغلف . إنه أول أجر تتقاضاه .

هز فوكنر رأسه ثم قال : «يبدو أنك كنت جيدة جداً في عملك . يقول جايمس إذا أردت أن تعودتي للعمل اتصلي به» .

شعرت سكاي بالحرارة لهذا الاطراء . بالرغم من أنها تعبت كثيراً في عملها ، إلا أنها استمتعت بالعمل مع الخيول . أحست بالفرح لأن عملها نال التقدير .

تابع فوكنر كلامه قائلاً : «لكنك لن تفعلي ذلك» .

اتسعت عيناها باستغراب وسألته : «لن أفعل؟» .

تنهد وأجابها شارحاً : «سكاي ، بالمال الذي ستحصلين عليه بعد سبعة أشهر يمكنك امتلاك إسطبل خاص بك» .

- آه !

هزت سكاي رأسها ، وسرعان ما شغلت نفسها بوضع المغلف الذي يحتوي عل راتبها في جيبيها ، فيما هي في الحقيقة تحاول تجنب نظرة فوكنر المتفحصة . إنه متنبه لكل تحركاتها ، ويعرف كل شيء عنها ، لذلك لن تدعه يري المشاعر في عينيها المعبرتين .

- سكاي !

سيطرت عليها مشاعرهما ، فرفعت إليه عينيها بريثتين متسائلتين . عبس

فوكنر وسألها : «ما الذي تخططين له؟» .

- أخطط له؟ بحق السماء ! ما الذي يجعلك تعتقد أنني أخطط لشيء يا فوكنر؟

ضاقت عينا فوكنر وهو ينظر إليها ، وأجابها ببطء : «لدي أخت صغرى . تذكرني ذلك» .

- وهي لطيفة جداً أيضاً . لطف من بيلندا وتشارلز أن يعرضوا علي البقاء معهما .

- إنهم جميعاً يحبونك كثيراً .

هزت رأسها وأجابته : «وأنا أحبهم أيضاً» .

لاحظت سكاي أن أفكاره شردت بعيداً ، فسألته : «ألا يجدر بنا أن ننطلق حالاً؟ يلزمني بعض الوقت لاستقر وأستحم وأغير ملابسني قبل موعدنا مع المحامي بعد الظهر» .

- سكاي !

رمقته بنظرة حائرة ، فرأت عينيها تضيقان .

- نعم؟

- هل هناك شيء لم تخبريني عنه؟

هزت رأسها وهي تتعمد النظر إلى عينيها فيما قالت : «لا أعلم ما الذي تتحدث عنه» .

- هناك شيء ما . . . هل رأيت بول باركلاي ثانية؟

- بول . . . آه ! أنت تعني الطبيب البيطري الذي قابلته يوم الأحد

أثناء حفلة الشواء . لا ! بالطبع لم أره .

- هل تنوين رؤيته ثانية؟

- لا ، بحسب علمي .

هزت سكاي كتفيها وهي تتعجب من أسئلة فوكنر . بدا بول باركلاي رجلاً لطيفاً ، ساحراً وودوداً كما أنه وسيم أيضاً . لكن سكاي لا تنوي

التورط معه أو مع أي شخص آخر، فهي لن تبقى في المنطقة لفترة طويلة. نظرت إلى فوكنر بحيرة وسألته بنعومة: «كان صديقاً لزوجتك. أليس كذلك؟».

ضاق فم فوكنر وقال لها بحدة: «إنه واحد من كثيرين، ولم يعن أحدهم شيئاً لها. أحبت سيلينا جمع المعجبين حولها في وقت واحد، وأخشى أن بول باركلي جاء في آخر لائحة الرجال المهتمين لأمرها». لكن زوجة فوكنر هي التي طلبت الطلاق وسط اتهامات بوجود امرأة أخرى في حياته. قالت سكاي لفوكنر بحدة: «حسناً! لانية لي في رؤيته ثانية. سأذهب لإحضار أغراضه. سألاقيك بالقرب من الرانج روفر». أدارت له ظهرها، وسارت باتجاه مساكن الموظفين. أيعقل أن فوكنر ما زال يحب سيلينا؟ بدا صارماً جداً ذلك اليوم حين أكد ليليندا أنه لن يتزوج ثانية. هل السبب هو أنه ما زال يحب زوجته السابقة؟ أمر واحد أصبحت سكاي متأكدة منه: من مصلحتها الابتعاد من هنا، والابتعاد عن فوكنر في أقرب وقت ممكن!



١٢ - صديق، ولكن...

- ١٧ -

لم يقل فوكنر شيئاً آخر، ولم يفضح شيئاً... مجرد نفي قاطع فقط! كيف يجرو؟ راحت سكاي تغلي من الداخل. من يظن فوكنر نفسه؟ احترق خذاها ببقعتين ناريتين من الغضب وهي تستدير لتحقق به وتقول بغضب: «أنا أتحدث إلى السيد برايان، في الحقيقة». هز فوكنر رأسه، وأجابها: «لا أبالي إلى من تحدثين. الجواب ما زال كلا».

إنهما يجلسان قبالة المحامي بيتر برايان الذي يجلس وراء مكتبه. بدا الرجل المسكين حائراً بسبب العداء الذي تفجر في مكتبه الهادئ. بيتر برايان هو محامي والدها الإنكليزي، وهو شريك في مكاتب برايان وأوغيلفي كما علمت سكاي حين وصلت مع فوكنر منذ عشر دقائق. إنه رجل طويل ونحيل في أواخر الخمسينيات من عمره. شعره رمادي وعيناه بنيتان لطيفتان، لكنهما الآن تبدوان حائرتين، وهذا ليس مستغرباً، فما إن طلبت سكاي من المحامي سلفة مالية من مالها كي تعود إلى إيرلندا حتى قاطع فوكنر حديثهما بذلك الشكل العنيف.

- من المنطقي أن ترغب الأنسة أوهارا بالعودة إلى إيرلندا لتتولى الأمور هناك.

قال المحامي ذلك وهو يتسم لها بتعاطف.

- إذا كان هذا هو سبب عودة سكاي فهو معقول جداً. لكن ذلك ليس السبب. أليس كذلك؟

نظر إليها بعينيه الزرقاوين، فبدأ ماكرأ وواثقاً من نفسه ببذله الداكنة وقميصه البيضاء. تنفست سكاى بحدة وقالت: «أنا...».

حذرهما فوكر بنعمومة قائلاً: «اعترفي بالحقيقة يا سكاى، بيتر لا يعرفك مثلي، لكنني أؤكد لك أنه لن يكون سعيداً عندما يكتشف أنك كذبت عليه حول سبب حاجتك للمال».

ردت سكاى بعنف: «إنه عمي يا فوكر».

في الحقيقة، إنها تنوي القيام بكل ما تقدر عليه من أجل مساعدة عمها سيموس حين تحصل على المال بعد سبعة أشهر، لكنها علمت أن مساعدتها ستأتي متأخرة في ذلك الحين. حين اقترح فوكر موضوع السلفة المالية بدا كأن السماء استجابت لطلبها. لكن فوكر يعلم تماماً لماذا تريد المال! رددت سكاى بصوت أجش وبداها في حضنها: «إنه عمي يا فوكر. يمكنني استعمال المال لمساعدته».

قاطعها بنعمومة: «وهل تعتقدين أن هذا هو السبب الذي دفع والدك لترك المال لك؟».

ربما لا! كما قال فوكر. لاسيما أنه ترك تلك الوديعة بعد أن علم أن عمها يختلس ماله، لكنها لن تجلس مكتوفة اليدين وتراقب عمها يساق إلى السجن من دون أن تحاول مساعدته على الأقل.

جلست باستقامة ورفعت ذقنها بتصميم، ثم قالت: «لاشك أن والذي سيتوقع مني فعل الصواب».

لانت تعابير وجه فوكر وهو ينظر إليها، ثم واقفها قائلاً بركة: «نعم، لاشك في ذلك. تماماً كما توقع مني فعل الصواب أيضاً...».

- لن يساعذك والذي لأنك تركت أخاه يذهب إلى السجن من دون أن تساعده.

قابل فوكر نظراتها الغاضبة لعدة ثوان قبل أن يستدير إلى الرجل الآخر ويقول: «بيتر، هلاً قرأت لنا الجزء الأخير من وصية كونور؟».

- بالتأكيد.

سارع بيتر برأيانته إلى الموافقة وهو يضع على عينيه نظارتيه. قرأ يقول: «أخيراً، أعطي إلى صديقي الوفي، فوكر هارينغتون، كل الاسهم التي أملكها كي يبيعها ويستعمل ثمنها لمساعدة أخي سيموس أوهارا إذا دعت الحاجة لذلك».

رفع المحامي عينيه ونظر إلى سكاى وسألها: «أهذا هو العم الذي تحدثين عنه؟».

- نعم.

أكدت ذلك وهي غير قادرة على النظر إلى فوكر الآن. كان عليها أن تعلم أن والدها لا يمكن أن يتخلى عن عمها سيموس، وأنه سيتدبر أمر ذلك من أجله. قال لها فوكر بهدوء: «تم الاهتمام بكل شيء يا سكاى. عينا محامياً ليمثل عمك. أمن والدك معظم المال كما أن ثمن المنزل والأملاك الأخرى سوف يغطي الباقي. إذا أخذنا ذلك كله في الحسبان، بالإضافة إلى واقع أن عمك ذهب إلى الشرطة بنفسه واعترف، يعتقد المحامون أنه سوف ينجو مع حكم خفيف».

ارتاحت سكاى لدى سماعها ذلك، لكنها في الوقت ذاته استغربت لماذا لم يخبرها فوكر عن ذلك سابقاً.

سألها بيتر برأيانته بشكل رسمي: «في ظل هذه الظروف، أمازلت تحتاجين إلى المال يا آنسة أوهارا؟».

- نعم!

- لا!

نظرت سكاى إلى فوكر بعبوس حين أجابا في الوقت ذاته، هي تؤكد الأمر وهو ينفيه. قالت بجفاء: «هنا أو في إيرلندة سأحتاج إلى المال لشراء منزل وتأمين ما هو ضروري إلى أن أقرر ماذا... ماذا سأفعل لبقيبة حياتي».

أنهت كلامها بحزن، لأن كل مخططاتها المستقبلية لا تشمل فوكر. ضغط فوكر على شفثيه بعصية، وقال: «أنا أعتقد أن من المبكر جداً

أخذ أي قرارات الآن».

- حين عرضت علي الزواج، ألم يكن الأمر مبكراً جداً؟
ها قد عاد ذلك الأمر ثانية... ذلك التشويش في ذهنها... ذلك الشيء الغامض الذي لم تستطع تحديده. هذا كلام لا معنى له! لم تعد سكاى قادرة على تحديد الأمور منذ وفاة والدها!
- لا عليك! انسّ أني قلت ذلك.

قالت سكاى ذلك بنفاد صبر، ثم انحنت لتلتقط حقيبتها قبل أن تقف وهي تنظر إلى المحامي المدهش وتقول: «سأعود لأراك مرة أخرى يا سيد برايان. أخشى أني غير قادرة على التفكير السوي الآن...»
- تماماً!

واقفاها فوكنر ووقف بدوره، فنظرت إليه سكاى بعينين متألمتين وقالت له بصوت مرتجف: «أنت السبب الأساسي لعدم قدرتي على التفكير السوي. تقول شيئاً وتفعل شيئاً آخر، وأنا...».

توقفت عن الكلام حين نكسر صوتها بانفعال، فمشت باتجاه الباب وهي تتمتم: «علي الخروج من هنا!».

حين وصلت إلى رصيف الشارع لحق بها فوكنر، فأجفلت حين وضع يده على خصرها ليقودها نحو الرانج روفر.

استدارت سكاى إليه ودفنت رأسها على كتفه، فيما انهمرت الدموع غزيرة وحارة على خديها.

تمتم فوكنر برقة: «الأمور تزداد سوءاً. أليس كذلك؟».

توقف بجانب الرانج روفر، ثم ضمها بين ذراعيه. لم تجب سكاى، بل هزت رأسها موافقة وهي تتمنى لو تبقى إلى الأبد آمنة بين ذراعيه.

تحدث فوكنر بصوت رقيق قائلاً: «أتعلمين؟ قد يكون الأمر أقل إيلاماً لو أنك توقفت عن محاربتني. ألم تدركي حتى الآن أني لن أفعل أي شيء يؤذيك؟».

- أعلم ذلك. أنا فقط... .

هزت رأسها وأضافت: «أنا لا أفهم...».

- ما زال الوقت مبكراً.

أكد لها ذلك برقة، وأضاف: «كما قلت لي في مكتب بيتر برايان، زادت الأمور تعقيداً حين عرضت عليك الزواج. انسي أني ذكرت الموضوع، اتفقنا؟».

لم يساعدها ذلك على الشعور بالتحسن، لأنها أدركت أنه لو عرض عليها الزواج مرة ثانية الآن فسوف تقبل، على أمل أن يجيها ذات يوم.
- حسناً!

أبعدت نفسها عنه وهي غير قادرة على النظر إليه، ثم أضافت: «هلاً ذهبنا إلى منزل بيلندا الآن؟ أنا بحاجة إلى البقاء وحدي قليلاً».

- لا أعتقد أنك قادرة على ذلك بوجود التوأمين.

مازحها فوكنر وهو يفتح لها الباب لتجلس في مقعدها قبل أن يدور حول السيارة ليجلس خلف المقود.

إنها ليست بحاجة إلى البقاء بعيداً عن التوأمين أو بيلندا وتشارلز. إنها بحاجة إلى البقاء بعيداً عن فوكنر الذي يثير ارتباكها ويسبب لها الحيرة.

بدأت بيلندا وزوجها تشارلز أكثر من مرتحين حين وصلت سكاى مع فوكنر بعد وقت قصير إلى بيتهما. صعدت معها بيلندا إلى الطابق العلوي كي تريحها الغرفة التي ستنام فيها طوال فترة إقامتها في المنزل.

- إنها جميلة.

قالت سكاى للمرأة الأخرى بامتنان وهي تنظر إلى الغرفة ذات اللونين الذهبي والقرمزي، والتي تزينها زهرية مليئة بالورود وضعت على طاولة الزينة. أضافت تقول: «لطف منك ومن تشارلز أن...».

- لا تقولي ذلك يا سكاى. نحن مسرورون لبقائك معنا.

- شكراً على أي حال.

عندما نزلت سكاى وبيلندا بعد عدة دقائق إلى غرفة الجلوس كان

الرجلان يجلسان بارتياح . وقف فوكنر ما إن دخلت المرأتان إلى الغرفة ،
وسأل سكاي : «هل كل شيء على ما يرام؟» .

- نعم .

هزت سكاي رأسها وهي غير قادرة على النظر في عينيه . ابتسم فوكنر
وقال : «هذا جيد . سأدخل قليلاً إلى المطبخ لأرى التوأمن قبل أن
أغادر» .

عبست أخته في وجهه ، وقالت : «ظننت أنك ستبقى لتناول العشاء
معنا . . .» .

- إنها فكرة جيدة يا بيلندا ، لكنني أعتقد أن سكاي اكتفت من رؤيتي
اليوم !

لو أن الظروف مختلفة لما سمحت له سكاي بالذهاب ، لكنها من جهة
أخرى لم تشأ أن تكون سبباً في مغادرته منزل أخته .

- ابقى هنا يا فوكنر !

قالت ذلك بفتور ، فنظر إليها متفحصاً تعابيرها ، ثم هز رأسه أخيراً
وقال : «لا يمكنني البقاء . لدي بضع مكالمات هاتفية علي أن أجريها على
أي حال» .

بالطبع ! مرة ثانية أبعدته سكاي عن أعماله واهتماماته الخاصة
بمشاكلها الحالية ، وهي تشعر بالذنب لذلك .

وقف تشارلز وقال بحمفة : «سامشي معك إلى الخارج» .

اقترب فوكنر من أخته وطبع قبلة على خدها قبل أن ينظر إلى سكاي
بوجهها الشاحب ويقول : «سأنتصل بك غداً» .

لم تعلم ما الذي يجدر بها أن تقوله . جزء منها أراد منه البقاء لكن
الجزء الآخر يعلم أن ليس لديهما شيء آخر يقولانه حالياً .

- أنا آسفة جداً يا سكاي .

اعتذرت منها بيلندا بعبوس حين خرج الرجلان من الغرفة . أضافت
باشمئزاز : «لا أدري ما الذي أصاب فوكنر مؤخراً» .

- إنها ليست غلطة فوكنر .

اندفعت سكاي تدافع عنه ، وأضافت بتعاسة : «أنا . . . إنها غلطتي» .
- لا تكوني سخيفة !

- لكنها الحقيقة . لا يحتاج فوكنر إلى مثل هذا التعقيد في حياته .

قالت لها بيلندا برقة : «سكاي ، والدك كان صديقه» .

هزت سكاي رأسها ، وقالت : «نعم . لكن الوضع الحالي مختلف ،

وأخشى أنني لم أساعد في تحسين الأمور بعد ظهر هذا اليوم حين زل لساني

أمام المحامي وذكرت أن فوكنر عرض علي الزواج» .

ها قد فعلت الأمر ثانية ! لاحظت سكاي ذلك بعد فوات الأوان فقد

رمشت بيلندا عينها بذهول لهذا الخبر !



١٣ - أريد جواباً!

- سكاى...!

- لم يكن علي إخبارك بذلك.

قاطعتها سكاى بسرعة حين رأت التوقع الواضح في عيني بيلندا.
أضافت تقول: «أرجو أن تنسي أنني أخبرتك بذلك».

- لا. لا يمكنني ذلك.

أكدت لها بيلندا ذلك وهي تضحك، وقد تعافت قليلاً بعد صدمتها.
تابعت تسألها ببطء: هل طلب فوكنر منك الزواج حقاً؟

- نعم، فعل ذلك لأنه يشعر بالأسى نحوي.

سارعت سكاى إلى شرح الأمر وهي تتمنى لو أنها لم تقل شيئاً، وقد لاحظت من تعابير بيلندا المصممة أنها لن تدع الموضوع يمر من دون استفسار.

أجابتها بيلندا من دون تردد: «هذا هراء!».

رمشت عينا سكاى اندهاشاً لتأكد بيلندا من الأمر، وقالت:

«لكنه...».

- هذا هراء! قد يشعر بالأسى تجاه الوضع الذي أنت فيه، لكنني أؤكد لك أن هذا غير كافٍ لجعله يطلب الزواج منك. أمل أنك قلت له نعم.

- كلا، لم أقل نعم.

أجابتها سكاى غير مصدقة أن بيلندا تفكر أن زواجها بفوكنر فكرة جيدة. هزت رأسها وأضافت: «فوكنر لا يريد الزواج بي فعلاً. قلت لك

إنه فقط يشعر بالأسى نحوي».

- وأعتقد أنني قلت لك إن هذا هراء.

ابتسمت سكاى، وأجابتها: «نعم، لكن ما الذي يجعلك تظنين ذلك؟».

- عدة أشياء في الواقع... أخبريني يا سكاى، متى تقابلتما أنت وفوكنر؟

- أعتقد أنك تعرفين. جاء إلى المستشفى بعد أسبوع من الحادث...

- لا، ليس هذه المرة. متى تقابلتما للمرة الأولى؟

- منذ ست سنوات.

تقابلا منذ ست سنوات وستة أشهر وخمسة أيام على وجه التحديد.

يمكنها أن تعرف عدد الساعات لو فكرت بالأمر قليلاً.

- هذا ما ظننته!

بانث على بيلندا نظرة انتصار قبل أن تنظر إلى ساعة يدها وتقول:

«أخشى أن الوقت حان لينجز التوأمان بعض الفروض قبل الاستحمام والذهاب إلى السرير، لكننا سنعود إلى الموضوع ثانية يا سكاى. أنا أحب فوكنر كثيراً، لكنه في بعض الأحيان يتصرف بغباء».

لم تستطع سكاى كبت ضحكاتها. من الغريب أن تسمع أحدهم يتحدث بهذه الطريقة عن فوكنر هارينغتون الذي تعرفه وتحبه، لكن بيلندا أخته ولها الحق بأن تقول عنه ما نشاء.

- فيما أنت تنتظرين، ربما ترغيبين بالقاء نظرة على هذا.

أخرجت بيلندا من الخزانة ألبوماً للصور، وأضافت: «لا تقلقي. لا أتصرف كأم تريد أن تربك عشرات الصور لأولادها. هناك بعض الصور التي أعتقد أنها ستال اهتمامك. في هذا الوقت، تصرفي كأنك في بيتك. خذي هذا معك إلى المطبخ وأعدّي لنفسك كوباً من القهوة. سننزل أنا وتشارلز بعد ساعة أو نحو ذلك. المهم هو أن تتذكري أن فوكنر التقى بك أولاً».

بدأ الفضول يتملكها . هل توقعت بيلندا ذلك؟ فكرت ، لاشك أن بيلندا
ماكرة وذكية ، ولا بد أنها أساءت فهمها .

مدت يدها ببطء وسحبت الألبوم إليها . قلبت الصفحة لتجد نفسها
تحديق في أول صورة للعريس والعروس وهما يمشيان معاً خارجين من
الكنيسة .

بعد ذلك ، تعلقت نظرات سكاي بالصور وبدأت تتصفح الألبوم
بسرعة ، وقد اتضح لها السبب الذي جعل بيلندا تربيها الصور . لا عجب
أن بيلندا وبول باركلاي ظنا أنها سيلينا عندما رأياها للمرة الأولى ،
فسكاي وسيلينا تمتلكان ملامح الوجه نفسها حتى ليظن من يراها أنهما
أختان ، لا بل توأمان .

سيلينا أكثر طولاً من سكاي ، وطولها يصل حتى ذقن فوكنر ، في حين
يصل طول سكاي حتى كتفيه ، سيلينا أكبر سناً من سكاي . ربما هي في
العشرينيات من عمرها في هذه الصور ، كما أن المرأة الأخرى ذات معالم
جسم جميلة كتلك التي كانت لدى سكاي عندما كانت أصغر سناً . لكن
وجه سكاي يشابه وجه سيلينا من جهة العينين الزرقاوين بلون السماء ،
والبشرة القشدية اللون والشعر الناري النحاسي .

ماذا يعني ذلك؟ بل أكثر تحديداً ، ما الذي تعتقده بيلندا بشأن ذلك؟
أصبحت سكاي مقتنعة أكثر فأكثر أن بيلندا تعتقد أن ذلك يعني شيئاً ما .

تراجعت سكاي ، وأسندت ظهرها وهي ما زالت تحديق في صورة
فوكنر وسيلينا أثناء حفلة زفافهما : فوكنر بوجهه المتجهم وسيلينا الجميلة
تقف إلى جانبه .

بعد سنة من لقائها الأول بفوكنر ، يتزوج هذا الأخير امرأة تشبهها
تماماً لكن بالوجه فقط . من خلال القليل الذي سمعته سكاي من الناس
عن طبيعة سيلينا ، أدركت أن طبيعتهما ونفسيتهما مختلف تماماً . لو
كانت سكاي هي المحظوظة التي تزوجت فوكنر ، فهي لن تنظر أبداً إلى
رجل آخر ، ولن تتورط في علاقة مع سواه .

خرجت من الغرفة مسرعة لتفتش عن بقية أفراد عائلتها .

سارت سكاي ببطء إلى المطبخ ، وبدأت تعد القهوة . جلست على
كرسي بجانب طاولة السنديان القديمة الكبيرة في زاوية من المطبخ الفسيح ،
وفتحت الألبوم الذي أعطتها إياه بيلندا . لاشك أنها ستجد صوراً
لفوكنر . أحست بالحنين والاشتياق للرجل الذي تحبه .

الصور الأولى لا بأس بها . تضمنت عدة صور لطفلي بيلندا الرائعين في
سنوات طفولتهما المبكرة ، وهما ينظران إلى آلة التصوير ويضحكان ولم
تثبت أستانهما بعد .

مجموعة الصور الثانية هي لأزواج أو عائلات مجتمعة بشكل رسمي .
وصلت سكاي إلى منتصف الألبوم قبل أن ترى أول صورة لفوكنر وهو
يرتدي بذلة رسمية أنيقة وإلى جانبه يقف تشارلز الذي يبدو وسيماً أيضاً في
بذلة مشابهة ، والرجلان يضعان زهرتي قرنفل في جيبي بذلتيهما العلويين .
إنها تنظر إلى صور زفاف! ليس أي زفاف ، بل زفاف فوكنر .

لاشك أن بيلندا هي التي التقطت هذه الصور فقد ركزت على الطفلين
وعلى تشارلز وفوكنر ، لكن سكاي بدت متأكدة أن هذه الصور التقطت في
حفلة زفاف فوكنر وسيلينا .

ارتجفت يداها وهي تبعد عنها الألبوم عبر الطاولة ، وتحديق به كأنه
ألقى على وشك أن تلدغها .

بحق السماء! لماذا أعطتها بيلندا هذه الصور؟ هل اعتقدت أنها
ستحبها؟ ألا يجدر ببيلندا أن تعلم؟

حسناً! كيف لها أن تعلم أن سكاي ستشعر بالانزعاج عندما ترى
صور زواج فوكنر وسيلينا؟ لماذا تفترض أن بيلندا تعلم ذلك؟ فبعد كل
شيء ، فعلت سكاي ما بوسعها لإخفاء مشاعرهما تجاه فوكنر طوال
سنوات عن الآخرين ، بمن فيهم والدها الحبيب .

بالرغم من ذلك ، أليس من الغرابة أن تعطيهما بيلندا صور زفاف
فوكنر بالذات؟ ابتلعت سكاي ريقها بصعوبة . بعد زوال الصدمة الأولى

استدارت بحدة حين سمعت أحدهم يدخل إلى المطبخ. رأت بيلندا تقف عند الباب ورأسها يميل قليلاً في تساؤل صامت.

ابتلعت سكاي ريقها بصعوبة وهي ما زالت حائرة بسبب الشبه بينها وبين سيلينا وأكثر حيرة فيما يتعلق بالسبب الذي يدفع بيلندا للاعتقاد أنها يجب أن ترى ذلك. أدركت أنها يجب أن تجد الجواب عن هذه التساؤلات، وهناك شخص واحد يمكنه أن يعطيها الأجوبة.

رطب سكاي شفيتها الجافتين بلسانها، فقد نسيت أن تشرب القهوة التي أعدتها لنفسها سابقاً. نظرت إلى بيلندا وسألتها بصوت مرتجف: «أعلم أنه قال إن لديه اتصالات هاتفية، لكن هل تعتقدين أن فوكر في المنزل هذا المساء؟»

أجابتها بيلندا بركة: «أنا متأكدة من ذلك، فما السبب الذي قد يدفعه للخروج؟»

وقفت سكاي، فأصدر الكرسي تحتها صوتاً مزعجاً على الأرض. - خذي سيارة الستايشن.

قالت بيلندا ذلك وهي تأخذ المفاتيح المعلقة خلف باب المطبخ وتضيف قائلة حين خطرت ببالها فكرة: «هل ستكونين بخير وأنت تقودين بمفردك؟»

أكدت لها سكاي وهي تأخذ منها المفاتيح: «نعم».

بدأ التوتر يتزايد داخلها لما هي على وشك القيام به، فقالت: «أتعلمين يا بيلندا؟ قد أكون على وشك أن أجعل من نفسي أضحوكة».

هزت بيلندا رأسها بثقة، وقالت: «لا أعتقد ذلك».

أملت سكاي أن تكون بيلندا على حق وأن تكون الاستنتاجات التي وصلت إليها منذ ثوان قليلة صحيحة، لأنها إذا كانت على خطأ...! - خذي هذه معك.

أعطتها كيساً كان على الخزانين في المطبخ، وشرحت لسكاي قائلة: «إنها خيطان من الصوف طلبتهما مني السيدة غراهام كي تحيك كترتين

للتوأمين في فصل الشتاء. أعلم أنها حجة واهية، لكنها أفضل من لا شيء».

أخذت سكاي الكيس واقتربت من بيلندا، ثم ضمتها إليها وهي تقول: «أنت أخت لا تقدر بضمن يا بيلندا».

غصت المرأة الأخرى لشدة تأثرها، ثم تراجعت إلى الوراء وهي تحجب: «قولي ذلك لفوكر!».

- آه! أعتقد أنه يعلم ذلك فعلاً.

- حظاً سعيداً!

شعرت سكاي أنها بحاجة فعلاً للحظ الجيد الآن.

لم يشكل إعطاء الصوف للسيدة غراهام أية مشكلة، بالرغم من أن مديرة المنزل نظرت إليها باستغراب لأنها قادت كل تلك المسافة لهذا السبب.

طرقت سكاي الباب الخلفي للمنزل عمداً، فهي لا تريد تنبيه فوكر لوجودها الآن.

نظرت إلى الصينية التي كانت مديرة المنزل تحضرها حين وصلت، وسألتها: «أهذه لفوكر؟»

بدأ الاستياء على وجه مديرة المنزل وهي تقول: «قال إنه ليس جائعاً. إنه لا يتناول الطعام مؤخراً، ففكرت أنه قد يتناول بعض الحساء والخبز إذا وضعت الطعام أمامه».

تساءلت سكاي منذ متى لا يتناول فوكر الطعام. سألت سكاي مديرة المنزل بخفة: «هل تمانعين إذا أخذت أنا الصينية إليه؟ أريد أن أتحدث إليه حول بعض الأمور على أي حال».

هزت السيدة غراهام رأسها وهي تبتسم ابتسامة ماكرة، ثم قالت لسكاي: «من المستبعد أن يصرخ في وجهك».

حملت سكاي الصينية، وقالت: «لو كنت مكانك لما وثقت من ذلك».

وضعت الصينية أمامه على مكتبه الفارغ. يا له من عذر مقنع لعدم تناول العشاء مع عائلته. لديه اتصالات هاتفية!

التوى فمه بسخرية، وقال: «تعلمين أنني لم أقصد هذا». هزت سكاى كتفيها، وقالت: «لا يهم. أحضرت لك بعض الحساء. أخبرني السيدة غراهام أنك لا تتناول الطعام جيداً مؤخراً». امتنع وجهه، وتمتم يسألها باستياء: «هل فعلت ذلك حقاً؟» - نعم.

وهزت رأسها إيجاباً. ظاهرياً، بدت أكثر ثقة مما تشعر داخلياً، فرجلاها ليستا ثابتتين ويدها متعرقتان لشدة توترها. رفعت حاجبيها البنين وسألته: «هل تمنع إذا جلست؟». أجابها بنبرة جافة: «كوني ضيفتي. يمكنك تناول الحساء إذا أردت». - لا، شكراً.

غرقت بامتنان في المقعد المقابل لمكتبه، وأضافت: «يبدو أن شهيتي فارقتني في الآونة الأخيرة أيضاً».

استمر فوكنر في النظر إليها بعينين ضيقتين، لكن من خلال العبوس الذي ازداد بين عينيه أدركت سكاى أنه لم يطمئن لما رآه في وجهها. سألتها بنفاد صبر: «حسناً، يا سكاى! ألا يجب أن تكوني مع تشارلز وبيلندا تتناولون العشاء الآن؟».

- ربما!

هزت سكاى رأسها وهي تتمنى لو استطاعت معرفة حقيقة مشاعره نحوها من خلال تعابيره. لكن يبدو أن الحظ خانها: تعابير وجه فوكنر بدت غامضة كلياً. أترأه يتعمد ذلك؟ أضافت تقول بتصميم: «لكن هناك أمر أريد أن أسألك عنه».

- ألا يمكن تأجيله للغد؟

- لا! لا يمكن.

ردت عليه بانزعاج وهي تنظر إليه. من المؤكد أنه لا يسهل عليها

مازحتها مدبرة المنزل قائلة: «هيا! اذهبي من هنا. ستجدينه في مكتبه».

اختفت ابتسامة سكاى من وجهها حالما خرجت من المطبخ حاملة الصينية، وقد عاد إليها توترها وهي تتوجه إلى مكتب فوكنر.

ماذا ستقول له؟ كيف ستفتح الموضوع الأقرب إلى قلبها؟ لا يمكنها أن تقول له مباشرة إنها غيرت رأيها بالنسبة للزواج منه! ذلك سيبدو...

هذا هو الأمر! عرض فوكنر عليها الزواج. هذا ما كان يقلقها طوال الأيام القليلة الماضية.

أصبحت خطواتها إلى مكتب فوكنر هادفة أكثر الآن، وعلمت سكاى ماذا سيكون سؤالها الأول لفوكنر. كان باب مكتبه مشقوقاً، فاستغلت سكاى الفرصة لتنظر إليه لعدة ثوانٍ قبل أن يشعر بوجودها.

بدت تعابير وجهه غامضة وهو يحدق خارج النافذة ووجهه شاحب متعب، وقد بدت الخطوط قرب عينيه وفمه غائرة أكثر مما كانت عليه مذ رآته للمرة الأولى بعد أن اقتحم حياتها ثانية منذ أكثر من أسبوع.

إن كانت سكاى تعيسة خلال الأيام القليلة الماضية، يبدو أن فوكنر لم يكن في حال أفضل.

أخذت نفساً عميقاً وهي تحضر نفسها لهذه المواجهة معه، فهي واثقة أن الأمر لن يكون سهلاً. لم يكن بإمكانها أن تفرع الباب لتعلن عن دخولها لأن يديها مشغولتين بحمل الصينية، فاستعملت قدمها لتدفع الباب قبل أن تدخل.

- ظنت السيدة غراهام أنك ستحب تناول بعض الحساء.

أعلنت ذلك بإشراق، وسرها أن ترى الصدمة ترتسم لفترة وجيزة على وجه فوكنر لدخولها غير المتوقع إلى مكتبه. حصل ذلك لفترة قصيرة لأنه سرعان ما استعاد سيطرته على مشاعره واستقام في كرسيه ببطء، ثم نظر إليها بعينين ضيقتين وسألها: «ماذا تفعلين هنا؟».

- أنا أحضر لك الحساء.

حينها فوكنر على المتابعة حين توقفت عن الكلام. رطبت شفيتها الجافتين بلسانها وهي تتساءل: ماذا لو كانت بيلندا على خطأ؟ ماذا لو أنها بدت كالغبية أمامه في النهاية؟ حسناً! ما الذي ستخسره؟

أخذت نفساً عميقاً، وأجبرت نفسها على النظر إلى عينيه الثابتتين. ليس لديها شيء لتخسره، لكن إذا كانت على حق، فعندها ستربح كل شيء.

- فوكنر، لماذا عرضت علي الزواج؟

في هذه اللحظة بالذات، شعرت سكاى بالسعادة لأنها رفضت أن تشيح بنظرها عنه، فلو أنها فعلت لما تمكنت من رؤية ذلك الوهج المفاجئ للمشاعر في عينيه. إنها مشاعر تغلب عليها فوكنر بسرعة وأخفاها، لكن سكاى رأتها على أي حال.

اتسعت عيناها بترقب وهي تنتظر جوابه.



١٤ - شكراً يا أبي!



وقف فوكنر بتوتر. إنه يرتدي سروال جينز أزرق باهتاً وقميصاً زرقاء. الانحناء البسيط في رجله اليمنى يظهر بوضوح كم هو متعب. عزف التعب البادي على وجه فوكنر على أوتار قلبها، فاستجمعت كل قوة من قوة إرادتها كي لا تقول شيئاً. علمت سكاى أنها لو تكلمت الآن عن رجله المصابة سيرحب فوكنر بتغيير الموضوع، وهذا ما لا تريده.

- حسناً!

حسنته سكاى على الكلام كما فعل معها منذ لحظات.

- السبب واضح تماماً. ثم إننا تجاوزنا ذلك الموضوع...

- أنا لم أفعل.

قاطعته سكاى بسرعة وهي ترفض أن تسمح له بتغيير الموضوع بهذه السهولة. تابعت تقول بصراحة: «السبب ليس واضحاً على الإطلاق يا فوكنر، على الأقل بالنسبة لي. حين طلبت مني الزواج اعتقدت أن دافعك هو الشفقة علي لأنني من دون والد ومن دون مال...»

- هذا هو السبب.

- هذا هراء!

رددت سكاى كلام بيلندا بحدة، وأضافت: «حسناً! أقبل أن الدافع الأول وهو موت والدي قد يكون صحيحاً».

هذا هو الشيء الذي كان يجول في لاوعي سكاى طوال الوقت. إنه الأمر الغامض الذي لم تستطع التفكير فيه طوال أربعة أيام، والذي تريد له جواباً الآن بشكل يائس. عرف فوكنر أنها سترث المال بعد سبعة

شهور فقط وأنها ستصبح شابة غنية ولا حاجة لها لأي حماية مادية أو غير ذلك.

تجهم وجه فوكنر وهو يقول: «أنا... أنت...».

- نعم؟

حشته على الكلام بجدة وهي تجلس في كرسيها أمامه وتنتظر إليه بلهفة، وقد اطمأن بالها حين رآته عاجزاً عن الكلام.

قال لها فوكنر بسخرية: «هل فكرت يوماً أن تصبحي محامية يا سكاى؟ لديك طريقة شرسة في استخلاص المعلومات».

ها هو يحاول تغيير الموضوع، لكن سكاى لن تدعه يفعل ذلك. ردت عليه بنفاد صبر: «لا، لم أفكر بالموضوع. والآن، هلا أجبت عن سؤال من فضلك؟».

هز رأسه، وقال: «نسيت ما هو السؤال».

لسبب ما، لم تصدقه سكاى. كررت سؤالها: «لماذا طلبت مني أن أتزوجك؟».

وضع يديه في جيبي سرواله ورفع كتفيه بتحدٍ، ثم تتم قائلاً ببطء: «لماذا طلبت منك الزواج برأيك؟».

ردت عليه بياس: «لو كنت أعرف السبب لما جئت إلى هنا لأسألك عنه».

إنه لا يريد الإجابة عن هذا السؤال فعلاً. أمن المحتمل أن يكون السبب ما فكرت فيه وأملت به؟ مازالت سكاى غير واثقة من الإجابة، لذا لم تجرؤ على الأمل كثيراً.

تهدد فوكنر بعمق، وهز رأسه قائلاً بياس: «سواء أردت تصديق ذلك أم لا، شعرت فعلاً بالأسى نحوك. ليس بسبب والدك فقط، بل بسبب ما علمته عن عمك سيموس أيضاً. أردت... أردت فقط أن أهتم بك!».

- لماذا؟

- لأنك وحيدة، ولأنني صديق والدك، ولأن...

- هل تزوجت سيلينا لهذه الأسباب أيضاً؟

قاطعته سكاى بإصرار، فيما وقفت الآن أمامه لتواجهه بعناد وهو يبعد عنها مسافة قصيرة. أضافت: «أم أنك تزوجتها لأنها تشبهني؟».

ها قد قالت ما تريده وما حاولت بيلندا أن توحى لها به وما استتجته سكاى بعد رؤية الصور. فلتساعدنا السماء إن كانت على خطأ!

أظلم وجه فوكنر، وأصبحت عيناه فضيتين في وجه شاحب. ردّ عليها بصوت بارد وقوي: «سيلينا لا تشبهك أبداً... على الإطلاق!».

ارتجفت سكاى للصلابة التي ظهرت في صوته. هل يعني أن سيلينا أفضل منها، أم العكس؟ إنها لا تعلم! تلك الحيرة أبقته مستمرة في مكانها، بينما تقدم فوكنر منها ليمسك بكتفيها ويهزها قليلاً وهو يسألها:

«لماذا تسأليني عن ذلك يا سكاى؟».

- ألا تعلم؟

أخنتق صوتها، وتجمعت الدموع في عينيها وهي تكرر: «ألا تعلم حقاً يا فوكنر؟».

راح عصب ينبض في فكه المتصلب وقد تجمد فجأة بينما أخذت نظراته تتفحص وجهها. أخيراً قال: «أخبريني أنت».

ابتلعت سكاى ريقها بصعوبة، وأجابته: «أنا أسأل... أسأل من أجل فتاة لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها... أحبتك منذ ست سنوات».

أفصحت عما في قلبها من دون أي حذر الآن، ومن دون أي دافع سوى إخبار فوكنر عن شعورها. إذا رفضها... إذا كانت على خطأ ولم

يهتم لأمرها، عليها أن تعيش مع ذلك! أضافت بصوت متكرر: «أنا أسأل من أجل امرأة ستبلغ الخامسة والعشرين قريباً، وهي ما زالت

واقعة في حبك!».

إذا كان سيرفضها... إذا كان عليه ذلك...

- يا إله السماوات!

قال فوكنر ذلك بصوت أجش مليء بالعاطفة، وأخذ يحدق إليها بعدم

تصديق بينما يده تضاغطان بقوة وألم على ذراعيها .

- سكاي...!

- فوكنر...!

ردت عليه بألم وقد تدفقت الدموع من عينيها لتسكب حارة على خديها .

أرجوك... آه، أرجوك...!

توسلته سكاي في سرها وهو مازال يمدق إليها بعدم تصديق .

- هل تحيينني حقاً؟

هزت رأسها، وقالت بتصميم: «لطالما أحبيتك، وسأحبك دائماً» .

- يا إلهي...!

قال ذلك بألم، ثم جذبها إليه ليسحقها على صدره .

- سكاي!

جاء صوته مليئاً بالعاطفة فيما دفن وجهه في شعرها .

هي ليست مخطئة . لا يمكن أن تكون مخطئة!

أحاطت خصره بذراعيها وهي تستمتع بقربه . كم تحب هذا الرجل!

تراجع فوكنر قليلاً إلى الوراء، ورفع يديه ليحتضن وجهها بينهما

وهو ينظر إليها بإعجاب .

- لديك شجاعة لبوءة . لست واثقاً من قدرتي على القيام بما فعلته

أنت الآن، لكنني سعيد لأنك قمت بذلك .

قال فوكنر ذلك بحماسة، ثم انحنى وعانقها .

- أحبك يا سكاي أوهاراً! لطالما أحبيتك، وسأحبك دائماً .

كرر فوكنر الكلمات التي استعملتها منذ قليل .

- آه، يا فوكنر! كم من الوقت أضعنا!

- لكن ليس بعد الآن . تزوجيني يا سكاي . تزوجيني واجعلي حياتي

كاملة!

- بكل سرور!

ها قد وجدت ملاذها أخيراً . إنها لا تنتمي إلى إيرلندة ولا إلى إنكلترا بل إلى هذا الرجل، ولا يهملها أين يعيش وماذا يعمل وكيف أصبح الآن، إذ إنها تريد البقاء قربه .

ضمها فوكنر إليه باشتياق وحرارة فانصهرت عواطفهما معاً، وأصبح جسداً نصفين لكيان كامل .

بعد فترة طويلة ذكرته سكاي قائلة: «برد الحساء، والسيدة غراهام لن تسر بذلك» .

ابتسم لها فوكنر فيما يده تعبت بشعرها الحريري الناري، وقال: «ستساعيني السيدة غراهام حين تعلم أنك ستصبحين زوجتي» .

اختفت ابتسامته فجأة، وضمها إليه بقوة وهو يقول: «لن أدعك تذهين الآن يا سكاي، هل تدركين ذلك؟» .

- من الآن فصاعداً ستواجه المشاكل إذا ذهبت إلى أي مكان بدوني .

ما زالت سكاي مصدومة لإدراكها كم هي بحاجة إلى هذا الرجل .

بعد سنوات من الاقتناع أن فوكنر لن يكون لها، ها هي تشعر بالقنوط

والياس لجرد التفكير بالابتعاد عنه .

- أشعر أنني على قيد الحياة فقط عندما أكون معك يا سكاي . لم أكن

حياً بكل ما للكلمة من معنى طوال السنوات الست والنصف الماضية .

استدارت سكاي إليه عابسة وقالت: «السنوات الست والنصف

الماضية؟ لكن... فوكنر...!» .

- وقعت في حبك منذ أول يوم رأيتك فيه . بالطبع! حاولت أن أنكر

ذلك حتى على نفسي، فأنت لم تبلغني الثامنة عشرة وأنا كنت في الثانية

والثلاثين . بدت الفكرة مضحكة، وهذا ما أقنعت نفسي به . لم أصدق

أنني قد أقع في حب امرأة قابلتها للتو، فكيف بالنسبة لطفلة مثلك؟

وضعت سكاي يدها على خده، وقالت: «لكنك وقعت في حبي» .

- آه! نعم . بعد أسابيع من الجحيم حين حاولت أن أنكر الحقيقة حتى

لنفسي . وحين خسرت ثلاث مباريات متتالية، صممت على جعلك

تعرفين ذلك... لماذا برأيك أرسلت لك ستورم بعد كل شيء، لو لم أكن
أمل أن أسمع أخبارك ثانية وأن تسأليني لماذا غيرت رأيي بشأن الحصان؟
اتسعت عيناها بعدم تصديق، وقالت: «لم أكن أعلم ذلك. فوجئت
عندما وصل ستورم. كنت غاية في الارتباك لأنني واقعة في حبك، فلم
أكتب لك حتى رسالة شكر».

- لا. لكنني كنت سعيداً لامتلاكك ستورم وأملت أن تفكري بي من
وقت لآخر.

- لم أفكر في شيء آخر سواك طوال السنوات الست! عندما قرأت
خبر خطوبتك ثم زواجك في الصحف اعتقدت أنني على وشك الموت!
- آه، يا سكاى!

دفن فوكنر وجهه في شعرها، وتنشق عطرها كأنه يتنشق إكسير الحياة.
- زواجي من سيلينا كان أكبر خطأ في حياتي.

جلس فوكنر باستقامة في كرسيه، ثم هز رأسه قبل أن يضيف بصوت
أجش وقد أظلمت عيناه للذكرى البعيدة: «التقيتها في إحدى حفلات
بيلندا. والشيء الوحيد الذي رأيته فيها هو شبهها بك. اعتقد أنه الشيء
الوحيد الذي أردت رؤيته. كنا في الكنيسة نوقع الأوراق القانونية حين
أدركت أخيراً ما الذي أفعله. أدركت أنني أقف إلى جانب امرأة غريبة
عني. لكن، في ذلك الوقت، كان الأوان قد فات».

شعرت سكاى بهرجفة في عمودها الفقري عندما سمعت كلماته
الأخيرة. إنها وبييلندا على حق في شكوكهما، فالظروف التي رافقت زواج
سيلينا وفوكنر لم تعطهما فرصة واحدة لإنجاح ذلك الزواج.

تابع فوكنر كلامه بتصميم قائلاً: «لم أكن عادلاً بالنسبة لسيلينا. فلا
عجب في ظل تلك الظروف أن تنظر إلى رجال آخرين لتحصل على الحب
والاهتمام اللذين كنت عاجزاً عن إعطائهما لها. حاولت يا سكاى...
حاولت فعلاً. أدركت أنني مدين لسيلينا بمحاولة إنجاح ذلك الزواج،
لكن الأمر لم ينفذ. كنا منفصلين في الوقت الذي تعرضت فيه للحادثة،

وفي ظل الظروف القاهرة أيقنت أن الحل الأفضل هو منحها الطلاق.
إنها حالياً متزوجة للمرة الثانية وتعيش بسعادة ولديها طفل صغير، وأنا
أشكر الله على ذلك».

رطبت سكاى شفيتها بلسانها، وقالت: «سرت شائعات... قيل
إنك...».

قاطعها فوكنر قائلاً: «إن لدي امرأة أخرى؟ إنها أنت يا سكاى.
أنت كنت حاضرة دوماً في حياتي».

توهجت عيناه بالحب وهو ينظر إليها، فاتسعت عيناها استغراباً
وسألت: «هل أخبرت سيلينا عني؟».

هل أخبر زوجته عن مشاعره حيالها، وهي لم تعرف بها بعد؟
هز فوكنر رأسه، وقال: «لم أكن مضطراً لذلك. سكاى، لا وجود
لأسرار كهذه بين رجل وزوجته. لم أكن أريدها يا سكاى. لم أستطع...
لم أشعر نحوها بأي انجذاب. زواجنا كان زائفاً منذ البداية حتى النهاية!».
لم تستطع سكاى أن تفعل شيئاً سوى التحديق به وهي تحاول
استيعاب ما يقوله لها.

- قد أكون سيئاً يا سكاى وتصرفي تجاه سيلينا ضيع، لكن بعد مرور
عدة أشهر أدركت أنه لا يمكنني الاستمرار في عيش كذبة.

استغربت سكاى استمرار ذلك الزواج طيلة تلك الفترة، لكنها
علمت ماذا عني فوكنر في حديثه عن عيش كذبة والادعاء بالاهتمام
بشخص آخر. إنها تشعر بذلك هي نفسها، ولطالما قالت إنها لن تتزوج،
لأنها إن لم تتمكن من العيش مع فوكنر فهي لا تريد أن تكون مع أي رجل
آخر.

- شعرت أنني في الجحيم يا سكاى. كنت أعيش مع امرأة بينما أحب
أخرى. أظن أننا كلانا ارتحنا عندما انتهى الزواج. لو لم يكن كونور
بجانبي...

- هل عرف والدي بذلك؟

- لم يعلم أنني وقعت في حبك... لا! لكنه ساندني كثيراً خلال تلك الفترة الصعبة من حياتي، ونتيجة لذلك أصبحنا صديقين مقربين. هل يمكنك تصور الرعب الذي كان والدك يشعر به لو اعترفت له أن ابنته الوحيدة المدللة هي من أحب؟

لم تكن سكاي واثقة أن والدها سيشعر بالرعب. ففي النهاية، اختار والدها فوكنر من بين جميع الناس ليكون أحد الوصيين على أموالها، ولو لم يمت في تلك الحادثة لحاول بأسلوبه الخاص أن يجمعها مع فوكنر. أحببت سكاي هذه الفكرة!

تهند فوكنر، وقال: «كم تمنيت لو أن الأمور مختلفة. لكن بعد الحادثة وبعد المعاناة وإجراءات الطلاق الطويلة والمزعجة، أصبحت أعيش في وضع لا يطاق. فبالإضافة إلى إمكانية اعتراض والدك، لم يعد لدي أي أمل بطلب الزواج منك، لاسيما بعد أن أصبحت رجلاً معوقاً ومطلقاً ويكبرك سناً».

- لا شيء من هذا سيهمني.

ابتسم لها بمحبة وندم، ثم قال: «لكنني لم أكن أعرف ذلك يا سكاي. السنوات الثلاث الأخيرة مرت علي كالجحيم. اعتقدت أنني لن أحصل على فرصة أخرى معك بسبب الفوضى التي أثيرتها في حياتي. سألتني مرة لماذا لم تربييني خلال الأشهر الستة الأخيرة مع أنني صديق مقرب لوالدك إن كنت تذكرين، قلت لك إنك مخطئة وإني رأيته كما رأيته كما رأيته أيضاً».

ابتلعت سكاي ريقها بصعوبة وقد تذكرت تلك الحادثة بينهما بوضوح.

- نعم.

هز رأسه وقال: «جئت أنت وكونور إلى لندن منذ ثلاثة شهور، وذهبت لمقابلة والدك في فندق هناك بعد لقاء عمل. سكاي أنا كنت الشخص الذي اجتمع به كونور ذلك اليوم، وقد رأيته من نافذة الفندق حين قابلت والدك في الشارع».

هذا يفسر لماذا لم يستغرب فوكنر التغيير في مظهرها حين جاء إلى المستشفى الأسبوع الماضي، ورأى أنها أصبحت نحيلة وأن شعرها قصير. علم فوكنر بتلك التغيرات لأنه رآها قبل ذلك.

- رأيته خمس مرات في السنوات الثلاث الماضية في ظروف مشابهة.
- فوكنر! اعتقد أنك مخطئ حول والدي وعدم معرفته أنك تحبني. هو لم يعرف أنني أحبك، فقد بذلت جهدي طوال تلك السنوات كي أخفي الأمر عنه. لكنني لا أصدق أنه لم يلاحظ أنك كنت واقعاً في حبي. تحدث معي عنك عدة مرات، وفي كل مرة كنت أنا أغير الموضوع لأعطي انطباعاً أنني لست مهتمة بأي شيء يتعلق بك.

إنها تؤمن الآن أن والدها كان سيوافق من صميم قلبه على فوكنر زوجاً لها. ازدادت قناعتها بعد أن استمعت إلى ما قاله فوكنر الآن، وأيقنت أن والدها ما كان ليضع مستقبلها بين يدي رجل لا يثق به.

- لاشك أنه الآن ينظر إلينا ويبتسم لأن الأمور بيننا جرت على هذا النحو، لذلك سأسألك مرة ثانية يا فوكنر...

جلست سكاي أمامه تحديق في عينيه، وأضافت: «لماذا عرضت علي الزواج يوم الجمعة؟».

لانت تعابير وجهه، وأشرقت عيناه بالعاطفة وهو يقول: «لأنني أحبك أكثر من الحياة نفسها... لأنني اعتقدت أنني سأتمكن من إقناعك بالزواج مني في لحظة ضعف... لأنني أملت أن أتمكن يوماً ما من جعلك تحببيني بعد أن نتزوج... لأن فكرة خروجك من حياتي مرة أخرى عذاب لا يمكنني تحمله... لأن...».

- هذا يكفي!

ووضعت سكاي يدها على شفثيه بنعومة. وأضافت: «سأتزوج منك يا فوكنر لأن كل ما قلته ينطبق علي أيضاً. لا يمكنك أبداً أن تتصور مقدار الاغراء الذي شعرت به لقبول عرضك على أمل أن تتعلم يوماً ما كيف تحبني! أليس رائعاً أننا واقعان معاً في الحب؟».

وغشيت عينيها دموع الفرح . أجابها فوكنر بتأثر : «رائع!» .
انحنى فوكنر ليعانقها ، فتعلقت به وهي تطلق صلاة صامته من قلبها :
شكراً لك يا أبي! شكراً . شكراً!

الخاتمة

- ماذا تفعلين؟

استدارت سكاي نحو فوكنر الذي وقف عند باب الاسطبل ،
وابتسمت له فيما توجه الحب في عينيها .
مضت سنة على زواجهما ، وهي أسعد سنة في حياتها . لم يفترقا
خلالها إلا نادراً ، وقد استمتعا بفترات من الصمت معاً ، كما استمتعا
بأحاديث ونوادير ومزاح أصبح جزءاً من علاقتهما .
دخل فوكنر إلى إسطبل ستورم ، فأسرعت إليه سكاي وأحاطت خصره
بذراعيها وضمته إليها بشدة . تمتت تقول له برقة : «كنت أشرح لستورم
أنه سيعتاد على حياة المرعى لفترة من الوقت» .
- أحقاً؟

بدت المفاجأة على وجه فوكنر فهو يعلم كم تستمتع بركوب ستورم ،
وهو يشاركها في جولاتها أحياناً على ظهر حصانه . يبدو أن ستورم تقبل
أخيراً فكرة أن فوكنر هو الرجل الدائم في حياة سيدته ، فلم يعد يحاول أن
يعضه .
- نعم .

ابتسمت سكاي لزوجها بجماء ، وأضافت : «بالطبع ، شرحت له أن
الامر مؤقت ، وأنا سنعود إلى جولاتنا معاً بعد ولادة الطفل» .
حبست أنفاسها ترقباً لردة فعل فوكنر لهذا الخبر .
إنهما سعيدان معاً في حياتهما الزوجية . استمتعا بصحبة بعضهما
كثيراً ، لكنهما لم يتحدثا عن الأطفال . شكّت سكاي بالامر في

الأسبوعين الماضيين، فقامت ذلك الصباح بزيارة الطبيب الذي أكد لها شكوكها: هي وفوكنر سيرزقان بطفل في فصل الربيع.

تحملت سكاى في طريق العودة إلى المنزل أن المولود سيكون صبياً صغيراً له شعر فوكنر الأشقر وملاحه الأرسقراطية أو ربما طفلة صغيرة لها شعر سكاى الأحمر الناري.

- سكاى!

صرخ فوكنر بحماسة وهو يجذبها إليه بشدة بين ذراعيه، لكنه أرخى قبضتيه فوراً حين لاحظ أنه يسحقها. توهجت عيناه بالسعادة وهو يسألها: «أهذا صحيح؟ هل أنت متأكدة؟».

- الطبيب متأكد، وهذا هو المهم.

استكانت بين ذراعيه، وغمرتها السعادة لأن ردة فعله تجاه الخبر جاءت إيجابية تماماً.

هز فوكنر رأسه، وقال: «لم أعتقد... لا أصدق... سكاى، لم أعتقد أنني قد أكون سعيداً أكثر مما أنا عليه الآن. هل أنت سعيدة؟».

نظر إليها باهتمام، فأجابته من دون تردد: «أنا في قمة السعادة. لا يمكنني أن أتخيل شيئاً أجمل من أن يكون لدينا طفل».

- وأنا أيضاً.

ضمها فوكنر إليه ثانية وهو يضيف: «إذا كان المولود صبياً سنسميه كونور تيمناً بوالدك».

شعرت سكاى بالغصة المألوفة التي تتجمع في بلعومها كلما تذكرت والدها الحبيب.

شكراً لك يا أبى! مرة أخرى تلت سكاى صلاة صامتة.

شكراً لأنك أعطيتني فوكنر، وشكراً لأنك أعطيتني لفوكنر!

